التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

الثمن: جنيهان



أحكام الأضحية



تحذير الأولياء من المغالاة في تجهيز النساء



أسماء الفائزين في مسابقة القرآن بالمركز العام



العبادات
جمع للأمة ووحدة للصف

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: يرجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

الإخوة الأعزاء محبّي مجلة التوحيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:
فإننا منذ ما يزيد عن عامين ونحن في حيرة من أمرنا مع ارتفاع الأسعار، وخاصة أسعار الورق ومستلزمات الطباعة، وكذا رفع أسعار الطباعة ثلاث مرات، ونحن نحاول أن نستمر دون رفع سعر المجلة، ولكن الأمر أصبح حتميًا، والفرار منه صار محالاً؛ فقد تكبدت مجلتكم في الفترات الماضية خسائر كبيرة؛ نتيجة لارتفاع الأسعار.

والمجلة منذ ظهورها لا تبغي الربح، ولا تحرص عليه، وإنما تحرص على أداء رسالتها الدعوية ابتغاء وجه الله تعالى.

ولقد حاولنا جاهدين عدم تحميل القارئ أيّ زيادة بسبب ذلك، لكننا اضطررنا آسفين أن نرفع سعر المجلة.

لذلك نستسمحكم عذرًا في رفع سعر المجلة إلى ثلاثة جنيهات للنسخة ابتداءً من شهر المحرم ١٤٣٨هـ، راجين أن تلتمسوا لنا العذر، طالبين منكم الدعم والمؤازرة والمشاركة في نشر دعوة التوحيد.

جعلنا الله وإياكم من الموحدين، ووفقنا إلى ما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٣
منسك الحج آداب وأحكام (٢): محمد عبد العزيز ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
دراسات قرآنية: الأمثال في القرآن: مصطفى البصراتي ١٣
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: د. صالح بن حميد ٢٣
إكمال الدين وإتمام النعمة: عبد الرزاق السيد عيد ٢٧
أحكام الأضحية: د. حمدي طه ٣١
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
تأملات في الأخلاق والشمائل النبوية: عبده أحمد الأقرع ٤٢
تحذير الأولياء من المغالاة في تجهيز النساء:
المستشار أحمد السيد علي ٤٥
باب السيرة: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
التعصب وأثره السيئ في ماضي الأمة وحاضرها:
د. عماد عيسى ٦١
باب الفتاوى ٦٥
فلا تسودوا وجهي: صلاح عبد الخالق ٦٩



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

جماعة أنصار السنة المحمدية

العبادات جمعٌ للأمة، ووحدة للصف

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله عظيم الإحسان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لجميع الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فإن من الأسس العظيمة التي دعا إليها الإسلام: الوحدة والائتلاف، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف على كلمة الإخلاص، وعبادة الله وحده دون سواه، كما قال تعالى: « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ » (الأنبياء:٩٢).

وقد امتن الله على هذه الأمة منذ بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم بجمع قلوب الصحابة ووقوفهم صفًا واحدًا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: «وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال: ٦٢- ٦٣).

فالأمة الإسلامية أمة واحدة منذ الصدر الأول، ومن مظاهر ذلك المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووقوف سلمان الفارسي وصهيب الرومي إلى جانب أبي بكر وعمر في التكاليف الشرعية، والتاريخ يشهد بذلك، فالأنصار قبل الإسلام كانت بينهم حروب وعداوات، ولما نوَّر الله قلوبهم بالإسلام أصبحوا كما قال تعالى: «وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا » (آل عمران:١٠٣)، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار بهذه النعمة في غزوة حنين، وفي ذلك يقول: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي». (البخاري: ٤٣٣٠، ومسلم: ١٠٦١).

قال ابن حجر: «وقد رتب صلى الله عليه وسلم ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنَّى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها، فزال ذلك كله بالإسلام». (فتح الباري ٨/ ٥٠).

والعبادات في الإسلام تعمِّق هذا المعنى وتؤصِّل هذا المفهوم، وهي كلها طريق إلى وحدة الأمة

وجمع الكلمة وتوحيد الصف:
فالصلاة تؤدّى خمس مرات في اليوم والليلة في جماعة، حيث يقف المسلم إلى جانب أخيه، لا تفصل بينهم حواجز، أو عصبيات، أو مراكز ومقامات، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على أداء الصلاة جماعة في المسجد، وذكر لها من الفضل والحسنات الشيء الكثير؛ وذلك لأهمية تلاقي المسلمين واجتماعهم.

وعبادة الزكاة تدفع المجتمع دفعًا إلى الترابط والتماسك، وهي سبب كبير في إزالة الغل والحقد والحسد من النفوس، ولذلك أمر الله تبارك وتعالى بها القادرين وفرضها عليهم، كما قال الله تعالى: « وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ » (البينة:٥)، وقد نظمها الإسلام تنظيمًا دقيقًا، وأعلم الأغنياء أنها حق للفقراء، حتى لا يستعلي الغني على الفقير، وفي الوقت ذاته لا يشعر الفقير بلون من ألوان الامتهان، لأن ما يأخذه- من الغني حق له، وقد دل القرآن على ذلك في قوله تعالى: « وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ » (الذاريات:١٩).

وفي الآية إشارة إلى أن المال الذي في يد الغني ليس كله ملكًا له يستأثر به، وإنما فيه حق للمحتاجين، ليس هبة منه وتفضلاً عليهم، وإنما هو حق فرضه رب للعباد لهم.

وفي الصيام تظهر معاني الأمة الواحدة المجتمعة على الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فالأمة المسلمة في البلد الواحد يمسكون عن المفطرات في وقت واحد، ويقبلون على تناول الإفطار في وقت واحد وبهذا يتأصل في النفوس معنى الأخوة الإيمانية التي تجمع بين المسلمين في هذه العبادة العظيمة.

وإن نظرة واحدة إلى مظهر المسلمين في الحرمين الشريفين، وقد امتدت أمامهم موائد الطعام وهم جميعًا ممسكون عن تناول شيء منها، فإذا رفع أذان المغرب امتدت أياديهم جميعًا في وقت واحد لتناول طعام الإفطار لتوضح هذا المعنى وتجليه.

أما بالنسبة لفريضة الحج ففيها من إظهار قوة المسلمين ووحدتهم الشيء الكثير، حيث إن حجاج بيت الله الحرام يجتمعون من أصقاع الأرض وأرجاء المعمورة عند بيت الله الحرام، وقد اختلفت ألسنتهم وألوانهم، وتباينت بلدانهم، ليؤدوا عملاً واحدًا في زمان واحد، ومكان واحد، فجميعهم يطوف بالبيت العتيق، ويسعى بين الصفا والمروة، وهم جميعًا يقفون بعرفات، وينزلون إلى مزدلفة ومنى، لا تفرق بينهم حواجز أو حدود، فالغني والفقير، والقادر والعاجز، والقوي والضعيف معًا في عبادة واحدة ولحمة واحدة، فيها يتعارفون ويتعاونون ويتشاورون، وتنعقد بينهم الروابط والمصالح الدينية والدنيوية، وهذه بعض مظاهر وحدة المسلمين في الحج:

١- يعبدون إلهًا واحدًا:

قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كان العرب في الجاهلية يعكفون على عبادة الأصنام، ويتقربون إليها ويدعونها من دون الله، وقد كان حول الكعبة وحدها ثلاثمائة وستون صنمًا، ولما فتح الله مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طاف حول الكعبة، وكان يضرب بيده الشريفة الأصنام التي حولها، ويقرأ قول الله تعالى: « وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا » (الإسراء:٨١)، وطهر بذلك البيت من الأصنام؛ ليتوجه قاصدو البيت إلى الإله الواحد فيعبدوه، وما أمر الله ببناء البيت العتيق إلا لتحقيق التوحيد.

وقد أكد أبو بكر رضي الله عنه هذه الحقيقة في العام التاسع للهجرة عندما أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم على الحج في هذا العام، فبعث أبا هريرة في رهط يؤذن في الناس: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

وقد ساق البخاري رحمه الله هذا الحديث تحت باب عنون له بقوله: «باب لا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج مشرك». انظر البخاري مع الفتح (٣/٤٨٣).

فبيت الله الحرام لم يبن للشرك، ولا للخرافة والدجل، وإنما لعبادة الله وحده، وقد أمر الله تبارك وتعالى خليله إبراهيم عليه السلام أن يرفع بناء البيت على التوحيد، وأن يطهره من كل شرك، كما قال سبحانه: «وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ » (الحج:٢٦).

وقد نهى الله كل مشرك من دخول بيته

الحرام- أو الاقتراب منه، فقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا » (التوبة:٢٨)، وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم الشرك، لأنه يتعارض مع الإيمان ويناقضه، ومن هنا أمر الله سبحانه بالكفر بالطاغوت، ليتحقق التوحيد، قال الله تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل:٣٦).

٢- يلبسون لباسًا واحدًا:

في الحج يتجرد الرجال من ملابسهم المعتادة، ويلبسون زيًا واحدًا، ويظهرون جميعًا بمظهر واحد، لا فخر فيه ولا خيلاء، غنيهم وفقيرهم فيه سواء، ولا يستطيع الناظر فيه أن يميز بين صاحب المكانة والشرف في قومه، ولا بين فقير الحال والضعيف بين أهله، ولا بين من جاء من المشرق، ولا من أتى من المغرب، ولا بين العجمي ولا بين العربي فكلهم في لباسهم سواء، لا يتميز فيه واحد عن الآخر.

٣- يجتمعون على تلبية واحدة:

التلبية في الحج والعمرة سُنة، ويستحب للرجال رفع الصوت بها، ومعناها: أن الحاج والمعتمر يقول لربه: يا رب قد دعوتني لحج بيتك، وقد يسرت لي ذلك، فلبيك اللهم لبيك، يعني إجابة لك يا رب بعد إجابة، وصفة تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وقد تضمنت إثبات التوحيد والبراءة من الشرك، ونحن نشاهد الحجاج والمعتمرين يهتفون بهذه التلبية، وقد خلفوا وراء ظهورهم الهتافات الوطنية والشعارات القومية، ونكسوا كل الرايات العصبية، ورفعوا شعارًا واحدًا، وهو: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- يتوجهون إلى قبلة واحدة:

أول ما فُرضت الصلاة كان التوجه فيها إلى بيت المقدس، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتوق نفسه إلى التوجه إلى الكعبة المشرفة، وكان يسأل ربه ذلك، فأمره الله بالتحول إلى الكعبة، كما قال الله تعالى: « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » (البقرة:١٤٤).

وفي الآية أمر باستقبال الكعبة في الصلوات كلها فرضها ونفلها، والفائدة من ذلك الاجتماع دون الافتراق، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهم يتوجهون إلى قبلة واحدة، يصلون أيضا خلف إمام واحد في المكان الذي يوجدون فيه، ففي كل مسجد تقام فيه الصلاة يتقدم إمام ليؤم الناس، وعلى جميع من خلفه متابعته لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإن صلى قائمًا فصلوا قيامًا». (البخاري: ٣٧٨).

وكما يجتمع المسلمون خلف إمامهم في الصلاة ولا يخرجون عن فعله بتقديم أو تأخير، فيلزمهم أيضا الاجتماع على إمامهم وقائدهم أيًا كان، ملكا أو رئيسًا، أو غيره، وطاعته في المعروف، وهو أمر أوجبه الإسلام عليهم حرصًا على جماعتهم ووحدتهم، والأحاديث في ذلك كثيرة، منها أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية ». (مسلم: ١٨٥١).

وبهذا يظهر بوضوح أن الإسلام يوم شرع الحج للناس، أراد منهم أن يكونوا أمة واحدة، متعاونة متكاتفة، لا تفرق بينهم حدود أو حواجز لأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والمسلمون اليوم وهم يشاهدون التكتلات التي تتم هنا وهناك يجب عليهم وهم يقومون بالتكاليف الشرعية أن يبتعدوا عن الأنانية والشحناء والكراهية، وأن يتعلموا العيش في الحياة بسلام ووئام، متعاونين على البر والتقوى، لا على الفساد والإفساد.

وان أخوة الدين تفرض التناصر والتعاون بين المسلمين، وعلى الحجاج والمعتمرين قاصدي الحرمين الشريفين أن يذكروا أنفسهم بالأخوة فيما بينهم، فيحترم كل واحد منهم حق أخيه، ولا يعتدي عليه أو يظلمه، ليحققوا لأنفسهم أعلى الدرجات والقبول عند رب الأرض والسماوات، ويرجع الحاج وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ييسر للحاج حجهم، وأن ييسر لنا حج بيته الحرام، وأن يسلم ويحفظ الحجاج والمعتمرين، وأن يعودوا إلى بلادهم سالمين غانمين، وأن يحفظ بلاد الحرمين من كل سوء ومكروه.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

منسك الحجُّ .. آدابٌ وأحكامٌ

صفة الحج والعمرة (٢)

إعداد/ محمد عبد العزيز









إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد: فنسوق في هذه المقالة - إن شاء الله تعالى - صفة الحج والعمرة باختصار غير مخل استكمالاً لمقال العدد السابق، فأقول، وبالله التوفيق:

للحج مواقيت مكانية، تحيط بمكة، وهي الأماكن التي حددها النبي - صلى الله عليه وسلم - للإحرام لمن أراد الحج أو العمرة، وهي خمسة مواقيت، يجب على الناسك أن يحرم من أحدها وهي:

- ذو الحليفة (أبيار علي): وهو ميقات أهل المدينة، وهو أبعد المواقيت عن مكة، فيبعد عنها أربعمائة كيلو متر تقريبًا.

- **الجحفة:** وهو ميقات أهل الشام، ومصر، والمغرب ومن أتى من ناحيتهم، والناس يحرمون الآن من رابغ، وتبعد عن مكة مسافة ثلاثة وثمانين ومائة كيلو متر تقريبًا.

- **يلملم (السعدية):** وهو ميقات أهل اليمن، ومن ناحيتهم جنوب مكة، وهو ويبعد عن مكة مسافة مائة وعشرين كيلو متر تقريبًا.

- **قرن المنازل (السيل الكبير):** وهو ميقات أهل نجد، ومن أتى من ناحيتهم، ويبعد عن مكة خمسة وسبعين كيلو مترًا تقريبًا.

- **ذات عرق:** وهو ميقات أهل العراق، ومن جاء من ناحيتهم، والناس يحرمون الآن من الضريبة بوادي العقيق، وهي بعيدة عن هذا الميقات بعشرين كيلو مترًا تقريبًا، وتبعد عن مكة عشرين ومائة كيلو متر تقريبًا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وقت لأهل المدينة: ذا الحليفة، ولأهل الشام: الجحفة، ولأهل نجد: قرن المنازل، ولأهل اليمن: يلملم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة». رواه البخاري (١٥٢٤)، ومسلم (١١٨١).

فإذا وصل الناسك الميقات، أو حاذاه جوًّا، أو بحرًا، أو مرَّ به، أو كان دون الميقات - بينه، وبين مكة - أحرم منه.

و يستحب له أن يغتسل، ويتطيب في رأسه، وبدنه، ويزيل الأشعار، ويقص الأظفار إن احتاج ذلك.

فإن كان رجلاً تجرد من المخيط، ولبس ثوبين، ويستحب أن يكونا أبيضين، أما المرأة فإحرامها في ثيابها غير متبرجة بزينة، غير أنها لا تلبس النقاب - وهو المفصل على الوجه -، والقفازين في

اليد، فإن كانت في حضرة الأجانب سترت وجهها من خمارها.

فإن كان في وقت الفريضة صلاها ثم أحرم بعدها، وإن لم يكن، وكانت له نافلة فعلها، وأحرم بعدها.

صفة الإحرام:

يعقد قلبه على ما أراد من نسك، وينوي الدخول فيه، ويهل بذلك، فإن كان يريد التمتع قال: لبيك عمرة، وإن كان يريد الحج وحده قال: لبيك حجًا، وإن كان يريد القران قال: لبيك حجًا، وعمرة، ثم يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ويكثر من التلبية، وخاصة إذا لقي ركبًا من الحجيج، ولا يزال يلبي حتى يرى البيت، فيقطع التلبية.

إذا دخل المسجد الحرام دخله بيمينه ثم يقول: باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك.

ثم يجعل البيت عن يساره محاذيًا الحجر الأسود، فإن استطاع أن يستلمه فيقبله فعل، وإن لم يستطع أشار إليه، ويضطبع- إن كان رجلاً- (يجعل الرداء تحت إبطه الأيمن ويرمي بطرفيه على كتفه الأيسر)، فيطوف بالبيت سبعة أشواط ويرمل في الثلاثة أشواط الأولى، (يسرع المشي مع مقاربة الخطا) ويختار من الدعاء أجمعه، فيدعو بخيري الدنيا والآخرة، ويقول بين الركنين (الركن اليماني والحجر الأسود: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

ثم يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم إن تيسر، وإلا ففي أي مكان من البيت يتيسر له، ويقرأ في الركعة الأولى الفاتحة وسورة الإخلاص، وفي الثانية الفاتحة وسورة الكافرون ثم يشرب فيتضلع من ماء زمزم.

(والطهارة من الأحداث، والأنجاس شرط في الطواف عند جماهير أهل العلم سلفًا وخلفًا).

ثم يأتي المسعى فيبدأ بالصفا فيقرأ: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ثم يقول: أبدأ بما بدأ الله به، ثم يرقى الصفا حتى إذا رأى البيت استقبل القبلة فيوحد الله ويكبره ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو بخيري الدنيا والآخرة، ثم يعيد مثل هذا ثلاث مرات.

ثم ينزل حتى إذا وصل لبطن الوادي سعى شديدًا، ثم يمشي حتى يأتي المروة، فيفعل عليه ما فعل على الصفا.

فيسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ذهابه من الصفا إلى المروة شوط، وعوده شوط، فيبدأ بالصفا، وينتهي بالمروة.

فإذا فعل ذلك فإن كان متمتعًا تحلل من عمرته بالحلق إن كان بينه، وبين الحج وقت ينمو فيه الشعر، أو قصر، أيهما فعل أجزأه، ثم ينتظر إلى اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية).

وإن كان مفردًا للحج، أو قارنًا، فسعيه الذي سعى هو سعي الحج، وقد قدمه. فليس عليه سعي آخر.. فيبقى على إحرامه إلى يوم التروية.

(وليس من شرط السعي الطهارة من الحدث، فيجوز للمحدث السعي، حتى الحائض).

أعمال يوم التروية (الثامن من ذي الحجة):

فإذا كان يوم التروية أحرم المتمتع بالحج، ويفعل بمكة ما فعله في الميقات، ثم يقول: لبيك حجًا، ثم يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

أما المفرد، والقارن، فإنهما باقيان على إحرامهما.

ثم يخرج الجميع إلى منى بعد الزوال، فيصلون فيها خمس صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصرًا للرباعية، غير جمع، ثم يبيت بها.

أعمال يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة):

إذا كان يوم عرفة فإنه يخرج إليها بعد شروق الشمس حتى يأتي عرفة. وعرفة كلها موقف.

فيبدأ وقوفه بها من بعد الزوال إلى غروب الشمس فيشهد فيها خطبة عرفة، ويصلي الظهر، والعصر جمعًا وقصرًا، ولا يصوم هذا اليوم فتلك السنة، ويفرغ للدعاء، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده

لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

فهو من أعظم أيام العام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا، ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم. فتقول له الملائكة: أي رب فيهم فلان يزهو وفلان وفلان، قال: يقول الله: قد غفرت لهم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فما من يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة».

والنبي صلى الله عليه وسلم: أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا يدعو حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، ثم دفع إلى المزدلفة.

(الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، فيبدأ الوقوف بعد الزوال عند جمهور أهل العلم، وينتهي بفجر اليوم العاشر، فمن فاته الوقوف نهارًا وقف في الليل، وهو مجزئ له).

فإذا أتى المزدلفة صلى بها المغرب والعشاء، بأذان واحد وإقامتين ولم يصل بينهما شيئًا، ثم يبيت بالمزدلفة إلى الفجر، فإن كان من أهل الأعذار دفع منها عند مغيب القمر.

أعمال اليوم العاشر من ذي الحجة (يوم الحج الأكبر):

أكثر أعمال الحج في هذا اليوم وهي على الترتيب كالتالي:

١- إذا كان فجر يوم العاشر صلى الصبح بالمزدلفة، ثم يأتي المشعر الحرام - وهو جبل بالمزدلفة، وعنده المسجد الآن - فيستقبل القبلة ثم يدعو الله، ويكبره ويهلله ويوحده فلا يزال واقفًا حتى يسفر جدًا فيدفع من مزدلفة إلى منى ملبيًا قبل أن تطلع الشمس.

٢- إذا أتى منى فإنه يرمي جمرة العقبة الكبرى - وهي أقرب الجمرات من مكة - بسبع حصيات مثل حصى الخذف يكبر مع كل حصاة، فإذا بدأ الرمي قطع التلبية.

٣- إن كان متمتعًا، أو قارنًا ذبح هديه، وأكل منه إن تيسر له ذلك.

والهدي: يجزئ فيه عن المتمتع والقارن: جذعة من الضأن (لها ستة أشهر)، أو مسنة من المعز (لها سنة)، أو سُبُعُ بدنة مسنة (لها خمس سنوات)، أو سُبُعُ بقرة مسنة (لها سنتان).

لحديثي جابر - رضي الله عنه - قال: نحرنا بالحديبية، مع النبي - صلى الله عليه وسلم - البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. رواه مسلم (١٣١٨)، وأبو داود (٢٨٠٩)، والترمذي (٩٢٠) و(١٥٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (٤١٠٨).

ولحديثه - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَذْبَحُوا إلا مُسِنَّةً إلا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ). رواه مسلم (١٩٦٣).

٤- يحلق أو يقصر رأسه (فإن قصر أخذ من سائر شعره)، أمَّا المرأة فإنها تجمع شعرها ضفيرة أو ضفيرتين، ثم تقص من أطرافه قدر أنملة.

التحلل الأول:

التحلل الأول يكون بفعل اثنين من ثلاثة عند الجمهور وهي: الرمي، والحلق أو التقصير، وطواف الإفاضة. (وليس لذبح الهدي مدخل في التحلل).

فإذا تحلل حل له كل شيء حرم عليه، إلا النساء، والنبي صلى الله عليه وسلم تحلل، ثم أفاض بعدما اغتسل وتطيب في بدنه، ورأسه فطاف حلالاً.

٥- طواف الإفاضة، وهو طواف الركن، فيفعله على الصفة السابقة غير أنه لا يسن فيه الاضطباع، والرمل.

فإذا فعل هذه الثلاثة: الرمي، والحلق أو التقصير، والطواف، تحلل الحل كله، وحل له كل شيء كان قد حرم عليه.

٦- السعي بين الصفا والمروة على الصفة السابقة.

وإنما يكون السعي للمتمتع فهو سعي حجه، أما المفرد، والقارن فإن كانا قدَّما السعي على الصفة السابقة فلا سعي عليهما، وإن كانا لم يسعيا بعد طواف القدوم فعليهما السعي.

٧- ثم يعود إلى منى فيبيت فيها (وجوبًا) ليلة

الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر لمن لم يتعجل.

هذه هي أعمال يوم العيد وهو أعظم الأيام عند الله تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن أعظم الأيام عند الله تعالى يوم النحر، ثم يوم القر».

والأعمال الخمسة من الثاني إلى السادس على ترتيبها السابق فإن قُدِّمَ عملٌ منها أو أُخِّرَ فلا حرج.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح؟

فقال: اذبح، ولا حرج.

فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟

قال: ارم، ولا حرج.

فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج». رواه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦).

أعمال يوم الحادي عشر: يوم القرّ

(وقد سمي يوم القر؛ لأن أهل منى يستقرون فيها):

أعمال هذا اليوم: هو عمل واحد وهو رمي الجمار الثلاثة: الصغرى، والوسطى، والكبرى كل جمرة بسبع حصيات مثل حصى الخذف يكبر مع كل حصاة.

ورمي الجمار مؤقت بوقت فيبدأ بزوال الشمس لحديث جابر رضي الله عنه قال: رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس.

فإذا رمى الجمرة الصغرى، والوسطى تقدم، أو تنحى بعيدًا عن الزحام فدعا الله تعالى، ويطيل الدعاء. عن الزهري، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها، فوقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف. ثم يأتي الجمرة الثانية، فيرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار، مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعًا يديه يدعو. ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة، فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها».

قال الزهري: سمعت سالم بن عبد الله، يحدث مثل هذا، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله. رواه البخاري (١٧٥٣)

(ورمي الجمار من واجبات الحج)

أعمال اليوم الثاني عشر (يوم النفر الأول):

أعمال هذا اليوم هو عمل واحد فقط، وهو رمي الجمار على الصفة التي رمى فيها الجمار في اليوم الحادي عشر.

فإن أراد أن يتعجل الخروج من منى جاز له لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ البقرة: ٢٠٣.

غير أنه يخرج من منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر، فإن غربت عليه الشمس فيه، لزمه المبيت وجوبًا عند الجمهور.

أعمال اليوم الثالث عشر (يوم النفر الثاني):

هو عمل واحد وهو رمي الجمرات الثلاثة على نفس الصفة التي رمى عليها الجمار في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر.

و بذلك تكون أعمال الحج قد انتهت، ويبقى واجب واحد على أهل الآفاق إذا أرادوا أن يخرجوا من مكة، وهو طواف الوداع، ويسقط هذا الطواف عن الحائض.

لحديثي ابن عباس- رضي الله عنهما- قال كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت. رواه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (٣٧٩).

وقال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض. رواه مسلم (٣٨٠).

فائدة: الطواف بالنسبة لحكمه في الحج ثلاثة أنواع:

ركن: وهو طواف الإفاضة، أو الزيارة.

واجب: وهو طواف الوداع.

مستحب: وهو طواف القدوم.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

الحلقة السادسة

قال تعالى: «وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (الجاثية: ٣٤- ٣٧).

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

التحذير من نسيان يوم الدين:

«وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ» أيْ نُعامِلُكُمْ مُعامَلَةَ النَّاسي لَكُمْ في نَارِ جَهَنَّمَ، «كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أَيْ فَلَمْ تَعْمَلُوا لَهُ لأَنَّكُمْ لَمْ تُصَدِّقُوا بِه، «وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يَنْصُرُونَكُمْ مِنْ عَذابِ الله.

وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحِيحِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِبَعْضِ الْعَبِيدِ يَوْمَ الْقِيامَةِ: «أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ. فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي» (صحيح مسلم ٢٩٦٨).

فَلا تَنْسَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنَّكَ إِلَى اللهِ رَاجِعٌ، وَبَيْنَ يَدَيِ اللهِ مَوْقُوفٌ، وَأَمَامَ اللهِ مَسْئُولٌ، فَإِنَّ هَذَا النِّسْيَانَ سَبَبُ الْعَذَابِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» (ص: ٢٦).

وَقَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ» (طه: ١٢٤- ١٢٦).

وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (السجدة: ١٢- ١٤).

وَقَالَ تَعَالَى: «وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

يَجۡحَدُونَ» (الأعراف: ٥٠- ٥١).

لا تغرنكم الحياة الدنيا:

ثُمَّ ذكر الله تعالى علَّة ما هم فيه من العذاب فقال: «ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي حَلَّ بِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الْيَوْمَ «بِأَنَّكُمُ» فِي الدُّنْيَا «اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ» وَهِيَ حُجَجُهُ وَأَدِلَّتُهُ، وَآيُ كِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم «هُزُوًا» يَعْنِي سُخْرِيَةً تَسْخَرُونَ مِنْهَا، «وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» يَقُولُ: وَخَدَعَتْكُمْ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَآثَرْتُمُوهَا عَلَى الْعَمَلِ لِمَا يُنْجِيكُمُ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللهِ. «فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا» أَيْ مِنَ النَّارِ، «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أَيْ وَلَا هُمْ يُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتُوبُوا وَيُرَاجِعُوا الْإِنَابَةَ مِمَّا عُوقِبُوا عَلَيْهِ.

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعَالَى السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ بِحَمْدِ نَفْسِهِ، تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ أَنْ يَحْمَدُوهُ، فَقَالَ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ» عَلَى نِعَمِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ، فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ، وَدُونَ مَا تَتَّخِذُونَهُ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَتُشْرِكُونَ بِهِ مَعَهُ، «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ» أي مَالِكِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَالِكِ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَ«رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي مَالِكِ جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، «وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي وَلَهُ الْعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فِي نِقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، الْقَاهِرُ كُلَّ مَا دُونَهُ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ، «الْحَكِيمُ» فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ. (جامع البيان (٢٥/١٥٨و١٥٩)).

وَهَكَذَا خَتَمَ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَمْدِ، كَمَا فَعَلَ فِي خَوَاتِيمِ الزُّمَرِ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ» (الزمر: ٦٨).

ثُمَّ ذَكَرَ مَآلَ الْكُفَّارِ وَمَآلَ الْأَبْرَارِ، ثُمَّ قَالَ: «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الزمر: ٧٥).

تم تفسير سورة الجاثية بحمد الله

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

«حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ» (الأحقاف: ١- ٣)

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ:

الأَحْقَافُ جَمْعُ الْحِقْفِ: وَهُوَ رَمْلٌ مُسْتَطِيلٌ مُرْتَفِعٌ، فِيهِ اعْوِجَاجٌ وَانْحِنَاءٌ، وَمِنْهُ احْقَوْقَفَ الشَّيْءُ: اعْوَجَّ. (البحر المحيط (٨/٥٣)).

وَوَجْهُ تَسْمِيَةِ السُّورَةِ «الأَحْقَافِ» وُرُودُ لَفْظِ (الأَحْقَافِ) فِيهَا، وَلَمْ يَرِدْ فِي غَيْرِهَا مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ. (التحرير والتنوير (٢٦/٥)).

وَقَالَ الْمَهَايِمِيُّ: سُمِّيَتْ بِهَا لأَنَّ مَكَانَهَا مِنْ حَيْثُ قَبُولُهُ سُرْعَةَ تَأْثِيرِ رِيحِ الْعَذَابِ فِيهِ كَالدَّلِيلِ عَلَى إِنْذَارِهِ، فَفِيهِ إِشْعَارٌ عَلَى أَنَّ إِنْذَارَاتِ الْقُرْآنِ كَالدَّلائِلِ عَلَى أَنْفُسِهَا.

ثُمَّ فِي قِصَّتِهِمْ اتِّسَاقُ الإِنْذَارِ إِلَى صَيْرُورَةِ الْمَرْجُوِّ مَخُوفًا، فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ إِنْذَارَاتِ الْقُرْآنِ مِمَّا يُخَافُ مِنْهَا صَيْرُورَةُ مَا يَرْجُوهُ الْجُهَّالُ مَخُوفًا عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ. (محاسن التأويل (١٥/٤)).

وَمُنَاسَبَةُ أَوَّلِهَا لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّ فِي آخِرِ مَا قَبْلَهَا: «ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا» (الجاثية: ٣٥)، وَقُلْتُمْ: أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم اخْتَلَقَهَا، فَقَالَ تَعَالَى: «حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ» (الأحقاف: ١-٢)، وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ هُمَا آخِرُ تِلْكَ، وَهُمَا أَوَّلُ هَذِهِ. (البحر المحيط (٨/٥٤)).

وَلَمَّا خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى السُّورَةَ الَّتِي قَبْلَهَا بِذِكْرِ التَّوْحِيدِ وَذَمِّ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْوَعِيدِ افْتَتَحَ هَذِهِ بِالتَّوْحِيدِ ثُمَّ بِالتَّوْبِيخِ لأَهْلِ الْكُفْرِ مِنَ الْعَبِيدِ (روح المعاني (٢٦/٤)).

وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، تُعَالِجُ قَضِيَّةَ الْعَقِيدَةِ، قَضِيَّةَ الإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ الْمُطْلَقَةِ لِهَذَا الْوُجُودِ وَمَنْ فِيهِ وَمَا فِيهِ، وَالإِيمَانِ بِالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم رَسُولٌ سَبَقَتْهُ الرُّسُلُ، أُوحِيَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ عَلَى مَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ وَكَسْبٍ، وَمِنْ إِحْسَانٍ وَإِسَاءَةٍ.

وَهَذِهِ هِيَ الأُسُسُ الأُولَى الَّتِي يُقِيمُ عَلَيْهَا الإِسْلامُ بِنَاءَهُ كُلَّهُ، وَمِنْ ثَمَّ عَالَجَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي كُلِّ سُوَرِهِ الْمَكِّيَّةِ عِلاجًا أَسَاسِيًّا، وَظَلَّ يُذَكِّرُ بِهَا فِي سُوَرِهِ الْمَدَنِيَّةِ كُلَّمَا هَمَّ بِتَوْجِيهٍ أَوْ تَشْرِيعٍ. (في ظلال القرآن (٧/٤٠٠)).

الْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ:

«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»:

هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عز وجل عَنْ مَصْدَرِ هَذَا الْكِتَابِ وَتَنْزِيلِهِ «مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ» أَيْ ذِي الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، الَّذِي يَغْلِبُ وَلا يُغْلَبُ، وَيَقْهَرُ وَلا يُقْهَرُ، «الْحَكِيمِ» فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَبَثِ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ اللَّعِبِ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْبَاطِلِ.

وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا التَّقْرِيرُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَلا سِيَّمَا فِي هَذِهِ السُّوَرِ الْمَعْرُوفَةِ بِآلِ حم. وَأَكَّدَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ ذَلِكَ بِالْقَسَمِ فِي مَوَاضِعَ:

قَالَ تَعَالَى: «فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الواقعة: ٧٥- ٨٠)، وَقَالَ تَعَالَى: «فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الحاقة: ٣٨- ٤٣).

فَلَيْسَ لِهَذَا الْقُرْآنِ مَصْدَرٌ سِوَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، «وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (يونس: ٣٧)، «قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الإسراء: ٨٨).

لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ»:

أَيْ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ. وَالْحَقُّ ضِدُّ الْبَاطِلِ، وَمَعْنَى كَوْنِ خَلْقِهِ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ أَنَّهُ خَلَقَهُمَا لِحِكَمٍ بَاهِرَةٍ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلاً، وَلا عَبَثًا، وَلا لَعِبًا.

فَمِنَ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ خَلْقُهُمَا مُتَلَبِّسًا بِهِ إِقَامَةُ الْبُرْهَانِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْمَعْبُودُ

وَحْدَهُ- جَلَّ وَعَلاَ-. كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ- لاَ نَكَادُ نُحْصِيهَا- فِي الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: « اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (غافر: ٦٤- ٦٥)، وَقَالَ تَعَالَى: « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ » (الزمر: ٥- ٦)، وَقَالَ تَعَالَى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة: ٢١- ٢٢).

وَمِنَ الْحَقِّ الَّذِي خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِهِ تَعْلِيمُهُ خَلْقَهُ أَنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا » (الطلاق: ١٢)، فَلاَمُ التَّعْلِيلِ فِي قَوْلِهِ: « لِتَعْلَمُوا » مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: « خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »، وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ يَتَنَزَّلُ بَيْنَهُنَّ، إِلاَّ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ.

وَمِنَ الْحَقِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِهِ، هُوَ تَكْلِيفُ الْخَلْقِ وَابْتِلاَؤُهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، ثُمَّ جَزَاؤُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » (هود: ٧)، فَلاَمُ التَّعْلِيلِ فِي قَوْلِهِ: « لِيَبْلُوَكُمْ » مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »، وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا خَلَقَهُمَا إِلاَّ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ.

وَمِمَّا يُوَضِّحُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلاَّ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ » (الذاريات: ٥٦- ٥٧)، سَوَاءٌ قُلْنَا: إِنَّ مَعْنَى « إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ » أَيْ لآمُرَهُمْ بِعِبَادَتِي فَيَعْبُدُنِي السُّعَدَاءُ مِنْهُمْ؛ لأَنَّ عِبَادَتَهُمْ يَحْصُلُ بِهَا تَعْظِيمُ اللهِ وَطَاعَتُهُ وَالْخُضُوعُ لَهُ، أَوْ قُلْنَا: إِنَّ مَعْنَى « إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ » أَيْ إِلاَّ لِيُقِرُّوا لِي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَيَخْضَعُوا وَيُذْعِنُوا لِعَظَمَتِي؛ لأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ طَوْعًا، وَالْكُفَّارُ يُذْعِنُونَ لِقَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ كَرْهًا.

وَمِنَ الْحَقِّ الَّذِي خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ بِخَلْقِهِنَّ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ: « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (الأحقاف: ٣٣)، وَقَالَ تَعَالَى: « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ » (يس: ٨١).

وَمِنَ الْحَقِّ الَّذِي خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا مُتَلَبِّسًا بِهِ جَزَاءُ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » (النجم: ٣١).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ »، أَيْ هُوَ خَالِقُهُمَا وَمَنْ فِيهِمَا « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى »، وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (يونس: ٣- ٤). (أضواء البيان (٧/٢٠٧)).

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

ثلاثة أمثال مضروبة في مَثل

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن الكريم، وهو في قوله تعالى: «أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» (الرعد:١٧).

تفسير المفردات:

الماء: يريد به المطر.

الأودية: جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين أو نحوهما يسيل الماء فيه بكثرة، فاتسع فيه، واستعمل للماء الجاري فيه، وتنكيرها هنا لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع، وإذا نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل في كل الأودية، بل ينزل في أرض دون أرض، ويسيل في واد دون واد.

بقدرها: والقَدَر- بفتحتين-: التقدير. فقوله: «بقدرها» في موضع الحال من «أودية» وذكره لأنه من مواضع العبرة.

وهو أن كانت أخاديد الأودية على قدر ما تحتمله من السيول بحيث لا تفيض عليها، وهو غالب أحوال الأودية، وهذا الحال مقصود في التمثيل؛ لأنه مثال انصراف الماء لنفع لا ضر معه؛ لأن من السيول جواحف تجرفُ الزرع والبيوت والأنعام.

«فاحتمل السيل زبدًا رابيًا» أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبدٌ عالٍ عليه، هذا مثل. (تفسير ابن كثير).

«ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله»: وهذا مثل ثاني وهو المثل الناري.

وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير تتمحص وتتخلص من الخبث فيخرج خبثها فيرمي به ويطرح ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس.

«ابتغاء حلية أو متاع»: مفعول لأجله متعلق بـ «توقدون» ذكر لإيضاح المراد من الصلة ولإدماج ما فيه من منة تسخير ذلك للناس لشدة رغبتهم فيهما.

و«الحلية»: ما يُتحلى به، أي يتزين وهو المصوغ.

و«المتاع» ما يتمتع به وينتفع وذلك المسكوك الذي يتعامل به الناس من الذهب والفضة.

«كذلك يضرب الله الحق والباطل»: إشارة «كذلك» هي إلى التمثيل السابق في جملة «أنزل من السماء ماءً» أي: مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله الأمثال وهو المقصود بهذا التنزيل، والإشارة للتنويه بذلك المثل وتنبيه الأفهام إلى حكمته وحكمة التمثيل، وما فيه من المواعظ والعبر، وما جمعه من التمثيل والكناية التعريضية وإلى بلاغة القرآن وإعجازه وذلك تحدٍ للمشركين. (تفسير المفردات مستفاد من تفسير ابن كثير والمحرر الوجيز وبدائع التفسير والتحرير والتنوير وفتح البيان بتصرف).

مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الآية وهي السابعة عشرة من سورة الرعد اشتملت على ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد، وقد بحثت وتأملت في كتب التفسير فوجدت كلامًا رائعًا للمفسرين في تفسير وتوضيح هذه الأمثلة في الآية المذكورة فرأيت من الضرورة بمكان أن أنقل بعض هذه النقول المهمة من هذه الأقوال حتى يستفيد القارئ من كلام المفسرين

فكل مفسر له بعض الإشارات واللطائف التي لا يستغني عنها طالب العلم وغيره ممن له اهتمام بعلم التفسير وبالأخص «الأمثال في القرآن»، فرأيت أن أنقل بعض هذه الإشارات واللطائف تتميمًا للفائدة، والله أسأل أن يوفقني في اختيار هذه اللطائف والإشارات التي تفيد القارئ.

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم في الجامع لأمثال القرآن (ص١١٦): «هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جُفاء لا ينتفع به ولا تُرجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت هذه الأرض وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات.

وقد شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات.

وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسعُ علمًا عظيمًا كواد كبير يسعُ ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغيرٌ إنما يسعُ بحسبه كالوادي الصغير فسالت أودية بقدرها، واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت غثاءً وزبدًا فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها، كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدرُ بها شاربه، وهي من تمام نفع الدواء، فإنه أثارها ليذهب بها، فإنه لا يجامعها ولا يساكنها، وهكذا «يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ» (الرعد:١٧).

ثم ذكر المثل الناري فقال: «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ» (الرعد:١٧)، وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفعُ به فيرمى ويطرح ويذهب جفاءً، فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح السيل والنارُ ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقرُ في قرار الوادي الماء الصافي الذي يستقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم، كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره، ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يرادُ منهما فليس من أهلهما، والله الموفق. (انتهى بتصرف، من الجامع في أمثال القرآن لابن القيم).

المعنى التفصيلي:

وأبدأ بكلام رائع للعلامة ابن رجب الحنبلي في روائع التفسير (١٥٨٠/١) يقول رحمه الله: «ولما كانت هذه الشريعة خاتمة الشرائع وعليها تقومُ الساعة، ولم يكن بعدها شريعة ولا رسالة أخرى، تُبيِّنُ ما تبدَّل منها وتجدد ما دَرَسَ من آثارهما، كما كانت الشرائع المتقدمة تجدد بعضها آثارَ بعض، وتبينُ بعضها ما تبدل من بعض، تكفلَ الله بحفظ هذه الشريعة ولم يجمع أهلها على ضلالة، وجعل منهم طائفة قائمة بالحق لا تزال ظاهرةً على من خالفها حتى تقوم الساعة، وأقامَ لها من يحملها ويذبُّ عنها بالسيف واللسان والحجة والبيان، فلهذا أقام الله لهذه الأمة من خلفاء الرسل وحملة الحجة في كل زمان من يعتني بحفظ ألفاظ الشريعة وضبطها وصيانتها عن الزيادة والنقصان ومن يعتني بحفظ معانيها، ومدلولات ألفاظها وصيانتِها عن التحريف والبهتان.

والأولون أهل الرواية، وهؤلاء أهل الدراية والرعاية وقد ضرب النبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل الطائفتين. كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلمِ، كمثل غيث أصاب الأرض فكانت منها طائفة قبلت الماءَ فانبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع الله بها ناسًا فشربوا وزرعوا، وأصابت طائفةً منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ونفع به فعَلِمَ وعَلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به».

فمثل النبي صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان الذي جاء به بالغيث الذي يصيبُ الأرض، وهذا المثل كقوله تعالى: « أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ

﴿بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ (الرعد:١٧)، فمثل تعالى ما أنزله من العلم والإيمان إلى القلوب بالماء الذي أنزله من السماء إلى الأرض، وهو سبحانه وتعالى يمثل العلم والإيمان تارة بالماء كما في هذه الآية، وكما في المثل الثاني المذكور في أول سورة البقرة، وتارة يمثله بالنور كما في المثل المذكور في سورة النور، والمثل الأول المذكورُ في سورة البقرة وكذلك في هذه الآية التي في سورة الرعد، وذكر مثلاً ثانيًا يتعلق بالنار وهو قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ (الرعد:١٧)، فإن الماء والنور مادة حياة الأبدان، ولا يعيش حيوان إلا حيث هما موجودان، كما أن العلم والإيمان مادة حياة القلوب هما للقلوب كالماء والنور، فإذا فقدهما القلب فقد مات.

وقوله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد:١٧)، شَبَّه القلوب الحاملة للعلم والإيمان بالأودية الحاملة للسيل، فقلبٌ كبيرٌ يسعُ علمًا عظيمًا، كواد كبير يسع ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغير يسعُ علمًا قليلاً، كواد صغير يسعُ ماءً قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها كما سالت الأودية من الماء بقدرها.

فهذا تقسيم للقلوب بحسب ما تحمله من العلم والإيمان إلى متسع وضيق، والذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى تقسيمٌ لها بحسب ما يردُ عليها من العلم والإيمان إلى قابل لإنبات الكلأ والعشب وغير قابل لذلك، وجعلها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسمٌ قبل الماء، فأنبت الكلأ والعشب الكثير، وهؤلاء هم الذين لهم قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين، والبصر بالتأويل، واستنباط أنواع المعارف والعلوم من النصوص، وهؤلاء مثل: الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عباس، ثم كالحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء، ومجاهد، ثم كمالك، والليث، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي ثور، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم من أهل العلم بالله وأحكامه وأوامره ونواهيه، وكذلك مثل: أويس، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سلمان، وذي النون، ومعروف، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله والحر بن أسد، وأمثالهم من أهل العلم بالله وأسمائه وصفاته وأيامه وأفعاله.

القسم الثاني: وقسمٌ حفظ الماء، وأمسكه حتى ورد الناس فأخذوه فانتفعوا به وهؤلاء هم الذين لهم قوة الحفظ والضبط والإتقان، دون الاستنباط، والاستخراج، وهؤلاء كسعيد بن أبي عروبة، والأعمش، ومحمد بن جعفر غندر، وعبد الرزاق، وعمرو الناقد، ومحمد بن بشار بندار، ونحوهم.

القسم الثالث: وقسمٌ ثالثٌ وهم شرُّ الخلق، ليس لهم قوة الحفظ ولا قوة الفهم، لا دراية، ولا رواية، وهؤلاء الذين لم يتقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأسًا.

والمقصود هاهنا أن الله تعالى حفظ هذه الشريعة بما جعل لها من الحملة، أهل الدراية، وأهل الرواية، فكان الطالب للعلم والإيمان يتلقى ذلك ممن يدركه من شيوخ العلم والإيمان، فيتعلم الضابط القرآن والحديث، ممن يعلمُ ذلك، ويتعلمُ الفقه في الدين من شرائع الإسلام الظاهرة وحقائق الإيمان الباطنة، ممن يُعلم ذلك. (اهـ. من روائع التفسير لابن رجب ١/ ٥٨٠).

وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ١١٦/٧: «جملة «أنزل من السماء ماءً» استئناف ابتدائي أفاد تسجيل حرمان المشركين من الانتفاع بدلائل الاهتداء التي من شأنها أن تهدي من لم يطبع الله على قلبه فاهتدى بها المؤمنون.

وجيء في هذا التسجيل بطريقة ضرب المثل بحالي فريقين في تلقي شيء واحد انتفع فريق بما فيه من منافع وتعلق فريق بما فيه من مضار وجيء في ذلك التمثيل بحالة فيها دلالة على بديع تصرف الله تعالى.

ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبر الموعظة، فالمركب مستعمل في التشبيه التمثيلي بقرينة قوله: «كذلك يضرب الله

الحق»، شبه إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء، وشبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل يمر على مختلف الجهات فهو يمر على التلال والجبال فلا يستقر فيها، ولكنه يمضي إلى الأودية والوهاد فيأخذ منه كل بقدر سعته، وتلك السيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زبدًا، وهو رغوة الماء التي تربو وتطفو على سطح الماء، فيذهب الزبد غير منتفع به، ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقي، ثم شبهت هيئة نزول الآيات وما تحتوي عليه من إيقاظ النظر فيها، فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة إيمانهم وعملهم ويمر على قلوب قوم لا يشعرون به وهم المنكرون المعرضون، ويخالط قلوب قوم فيتأملونه فيأخذون منه ما يثير لهم شبهات وإلحادًا، كقولهم: «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» (سبأ:٧)، ومنه الأخذ بالمتشابه، قال الله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» (آل عمران:٧).

شبه ذلك كله بهيئة نزول الماء فانحداره على الجبال والتلال وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدًا لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني، والماء بقي في الأرض للنفع. ولما كان المقصود التشبيه بالهيئة كلها جيء في حكاية ما ترتب على إنزال الماء بالعطف بفاء التفريع في قوله: «فسالت»، وقوله: «فاحتمل»، فهذا تمثيل صالح لتجزئة التشبيهات التي تركب منها وهو أبلغ التمثيل. (التحرير والتنوير لابن عاشر ١١٧/٧).

وقال البغوي في معالم التنزيل: وقيل: قوله: «أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب، يريد ينزل القرآن، فيحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل، فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل: «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» (الرعد:١٧) أي: ومن الذي توقدون عليه في النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، ابتغاء حلية أي لطلب زينة وأراد الذهب والفضة؛ لأن الحلية تُطلب منهما، أو متاع، أي: طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص، تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينفع بها.

«زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ» (الرعد:١٧) أي: وإذا أذيب فله أيضًا زبد مثل زبد الماء، فالباقي الصافي في هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذي لا ينتفع به مثل الباطل.

«فَأَمَّا الزَّبَدُ» (الرعد:١٧) الذي علا السيل فيذهب جفاء أي: ضائعًا باطلاً، والجفاء ما رقى به الوادي من الزبد إلى جنباته.

معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل، وقيل: جفاءً أي متفرقًا، يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به، وأما ما ينفع الناس يعني: الماء والفلز من الذهب والفضة والنحاس فيمكث في الأرض أي يبقى ولا يذهب، كذلك يضرب الله الأمثال جعل هذا مثالاً للحق والباطل، يعني: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع، ويبقى الحق. (معالم التنزيل للبغوي).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: وفيما ضرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال:

أحدها: القرآن، شُبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك والعقل والجهل فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وخبث الحديد لا ينتفع به. الثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيبطله. الثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن في اعتقاده وعمله كالماء المنتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد. (زاد المسير).

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

باب السنة

مواسم الطاعات واستجلاب الرحمات

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فمن لطف الله بعباده أن تكرم عليهم بمضاعفة الحسنات، وغفران السيئات، والإثابة على الهم بفعل الخيرات والهم بترك السيئات، وعلى هذا جميعه تضافرت الأدلة الواضحات من الكتاب والسنة، ومنها ما رواه الإمام البخاري بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

التخريج:

أخرجه البخاري - كتاب: الرقاق، باب: من هم بالحسنة أو سيئة، (٦٤٩١) (٨/١٠٣)، ومسلم - كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١٣١)، (٢٠٧).

الشرح:

هذا حديث قدسي شريف بين فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) تفضل الله على عباده فقال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات»، وكتابته للحسنات والسيئات تشمل معنيين: المعنى الأول: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ فإن الله تعالى كتب فيه كل شيء كما قال الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ «القمر: ٤٩» وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ (القمر: ٥٣) فالله سبحانه وتعالى كتب السيئات والحسنات في اللوح المحفوظ.

والمعنى الثاني: كتابته إياها إذا عملها العبد فإن الله تعالى يكتبها حسب ما تقتضيه حكمته، وحسب ما يقتضيه عدله وفضله.

فهاتان كتابتان: كتابة سابقة وكتابة لاحقة، ثم بين ذلك أي: ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كيف يكتب، فبين أن الإنسان إذا همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، فإن عملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة كرجل هم أن يسرق ولكن ذكر الله فترك السرقة لله، فأثيب على ذلك كما جاء ذلك مفسرا في لفظ آخر: (فإنما تركها من جراي) أي: من أجلي (متفق عليه) ، فإن عمل السيئة كتبت سيئة واحدة ، ولولا هذا التفضل العظيم لم يدخل أحد الجنة؛ فالأعمال مع كونها سبباً لاستجلاب الرحمات فمهما عظمت لا تدخل صاحبها الجنة كما في الصحيح

(لا يُدْخِلُ أحدَكم عملُه الجنةَ) (صحيح البخاري) فجعل الله الهم بالحسنة حسنة، وجعل الإعراض عن الهم بالسيئة حسنة، بل ومن جميل إنعام الله وعظيمه أن السيئة التي تكتب ربما تغفر ففي صحيح مُسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً، فَجَزَاؤُهَا مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ»..... (وانظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١٢٢)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٩٩)، جامع العلوم والحكم ت الأرناءوط (٢/ ٣١٢) (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين).

ما يستفاد من الحديث:

أولاً: تفضل الله على عباده فلا يهلك على الله إلا هالك، وهذا أمر تظاهرت عليه نصوص الشريعة وعقائد السلف فالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: « مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ » (الأنعام: ١٦٠).

والمضاعفة فوق ذلك دل عليها قَوْلُهُ تَعَالَى: « مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٦١) وكذلك من تفضله أن تكتب السَّيِّئَةُ بمثلها، مِنْ غَيْرِ مُضَاعَفَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ » (الأنعام: ١٦٠) وقوله صلى الله عليه وسلم: «كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا غَيْرُ مُضَاعَفَةٍ، هذا وإن كان من تفضل الله علينا أن السيئة غير مضاعفة في عموم الأحوال إلا أنها قد تعظم أحيانا رحمة بنا أيضا لتذكيرنا بشرف الزمان والحالة هذه ونحن في ذي الحجة، وقد قال تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ » (التَّوْبَة: ٣٦).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: « فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ » (التوبة: ٣٦) فِي كُلِّهِنَّ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَجَعَلَهُنَّ حَرَمًا، وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِنَّ، وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: اعْلَمُوا أَنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا فِيمَا سِوَى ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ فِي كُلِّ حَالٍ غَيْرَ طَائِلٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. ينظر: جامع العلوم والحكم ت الأرناءوط (٢/ ٣١٢).

ثانيا: ما معنى الهمّ الذي عناه الحديث؟

يقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣١٢/٢): (هُوَ الْعَزْمُ الْمُصَمِّمُ الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ الْحِرْصُ عَلَى الْعَمَلِ، لَا مُجَرَّدُ الْخَطْرَةِ الَّتِي تَخْطُرُ، ثُمَّ تَنْفَسِخُ مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ وَلَا تَصْمِيمٍ..... وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: مَنْ هَمَّ بِصَلَاةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، أَوْ غَزْوَةٍ، فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، بَلَّغَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا نَوَى...... فَإِنَّ الْهَامَّ بِعَمَلِ الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ. وَمَتَى اقْتَرَنَ بِالنِّيَّةِ قَوْلٌ أَوْ سَعْيٌ، تَأَكَّدَ الْجَزَاءُ، وَالْتَحَقَ صَاحِبُهُ بِالْعَامِلِ) (انتهى).

وعليه: أولا: من همَّ بالحسنة فلم يعملها على وجوه (كما أفاده الشيخ الصالح محمد بن صالح العثيمين رحمه الله) في شرحه للحديث على رياض الصالحين (ص: ٣٦٨) : الوجه الأول: أن يسعى بأسبابها ولكن لم يدركها، فهذا يكتب له الأجر كاملاً، لقول الله تعالى: (وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ) (النساء:

الآية١٠٠).

الوجه الثاني: أن يهم بالحسنة ويعزم عليها ولكن يتركها لحسنة أفضل منها، فهذا يثاب ثواب الحسنة العليا التي هي أكمل، ويثاب على همه الأول للحسنة الدنيا الوجه الثالث: أن يتركها تكاسلاً، فهذا يثاب على الهم الأول والعزم الأول، ولكن لا يثاب على الفعل لأنه لم يفعله بدون عذر، وبدون انتقال إلى ما هو أفضل.

ثانيًا: من هم بالسَّيِّئات من غير عملٍ لها فهو على أحوال:

١- فمن تركها لله، ففي حديث ابن عباس: أنَّها تُكتب حسنةً كاملةً، وكذلك في حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما أنَّها تُكتَبُ حسنةً، وفي حديث أبي هريرة قال: (إنَّما تركها من جرَّاي) (مسلم ١٢٩) يعني: من أجلي. وهذا يُكتَبُ له بذلك حسنة ؛ لأنَّ تركه للمعصية بهذا المقصد عملٌ صالحٌ.

فأمَّا إن همَّ بمعصية، ثم ترك عملها خوفاً من المخلوقين، أو مراءاةً لهم، فقد قيل: إنَّه يُعاقَبُ على تركها بهذه النيَّة ؛ لأنَّ تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرَّم. وكذلك قصدُ الرِّياءِ للمخلوقين محرَّم، فإذا اقترنَ به تركُ المعصية لأجله، عُوقِبَ على هذا الترك..

٢- وأمَّا إنْ سعى في حُصولها بما أمكنه، ثم حالَ بينه وبينها القدرُ، فقد ذكر جماعةٌ أنَّه يُعاقَب عليها حينئذ لحديث: (ما لم تكلَّمْ به أو تعمل)، لأنَّ منَ سعى في حُصول المعصية جَهدَه، ثمَّ عجز عنها، فقد عَمل بها، ودليله قولُ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار)، قالوا: يا رسول الله، هذا القاتلُ، فما بالُ المقتول ؟! قال: (إنَّه كان حريصاً على قتل صاحبه) (رواه البخاري ٣١ ومسلم ٢٨٨٨).

ويدل عليه أيضا حديث أبي كبشة الذي قال فيه الرجل: (لو أنَّ لي مالاً، لعملتُ فيه ما عَملَ فلان) يعني: الذي يعصي الله في ماله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فهما في الوزر سواءُ).

٣- ومن هم بها، ثم انفسخ عزمه، بعد ما نواها، فإن كانت مجرد خاطر بقلبه، لم يؤاخذ به، وإن كانت عملا من أعمال القلوب، التي لا مدخل للجوارح بها، فإنه يؤاخذ بها، وإن كانت من أعمال الجوارح، فأصر عليها، وصمم نيته على مواقعتها، فأكثر أهل العلم على أنه مؤاخَذ بها.

قال النووي رحمه الله - بعد ما نقل القول بالمؤاخذة عن الباقلاني -: «قال القاضي عياض رحمه الله: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر، للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب.

لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي هم بها؛ لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية، فتكتب معصية؛ فإذا عملها كتبت معصية ثانية فإن تركها خشية لله تعالى كتبت حسنة، كما في الحديث إنما تركها من جراي فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم) (ينظر: شرح مسلم للنووي ٢/١٥١، جامع العلوم والحكم: شرح الحديث السابع والثلاثين (٢/٣٤٣-٣٥٣)، طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٣٠).

ثالثا: هل يستدل بقوله: « إن الله كتب الحسنات والسيئات: على الاستدلال بالقدر على المعصية؟

الجواب: لا، وفي جوابه على هذا السؤال أفاد الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى بقوله:هذا غلط، لا يحتج بالقدر على هذا، الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما قال لهم: (ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار)، قال الصحابة يا رسول: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فسيُيَسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة)، ثم تلا قوله تعالى:« فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ » (الليل: ٥-١٠).

وهل يمكنه أن يحتج بالقدر فيجلس ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكسب إن كان صادقاً؟

الجواب: لا، وعليه فكما لا يستدل به العقلاء على طلب أحوال الدنيا فلا يستدل به على أحوال العبادة والآخرة. هذا وقوله «كَتَبَ» أي كتب وقوعها وكتب ثوابها، فهي واقعة بقضاء الله وقدره الكوني المكتوب في اللوح المحفوظ كما سبق بيانه، وذلك لسابق علمه تبارك وتعالى.

رابعًا: من أسباب مضاعفة الحسنات بعد تفضل الله جل في علاه أمور منها:

إذا كانت مضاعفة الحسنات محض تفضل وإنعام من الله تبارك وتعالى فإنه لاستجلاب الرحمات أسباب، أولها أن يحسن إسلام العبد بتحقيق ركني الإخلاص والمتابعة ثم بالاجتهاد في الفرائض، ثم النوافل؛ فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي « ... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ... » (صحيح البخاري). فالعمل الواجب أفضل من التطوع.

وكذلك بتحري أماكن المضاعفة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (متفق عليه).

وبه تقصد هذه المساجد بالزيارة والصلاة ثم يأتي سبب مضاعفة العمل باعتبار الزمان والتعرض لنفحات الدهر و ما توافرت فيه أدلة الشرع ومن ذلك ما كان في العشر الأوائل من ذي الحجة التي أهلت علينا بخيرها وبركتها و قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها «مَا مِنْ أَيَّام العَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهِنَّ أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هَذه الأَيَّام العَشر قَالوا: ولاَ الجِهَادُ في سَبيل الله، قَالَ: وَلا الجهَادُ في سَبيل الله » هذا وفيها يوم تكرم الله فيه على عباده فقال صلى الله عليه وسلم « صيام يوم عرفه أحتسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده « (رواه مسلم). فتلكم النفحات وهذه الرحمات هي نوع من مضاعفة الأعمال التي هي محض إنعام من رب الأرض والسموات.

خاتمة: لا يَهلِكُ على الله إلا هالك:

هذا وبَعْدَ هَذه الرَّحْمَة الْوَاسعَة التي كتبها الله على نفسه (كتب ربكم على نفسه الرحمة)، فلا يَهْلكُ عَلَى الله إلا مَنْ هَلَكَ، وَأَلْقَى بِيَدَيْه إلَى التَّهْلُكَة، وَتَجَرَّأَ عَلَى السَّيِّئَات، وَرَغبَ عَن الْحَسَنَات، وَلهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُود رضي الله عنه: وَيْلٌ لمَنْ غَلَبَ وُحْدَانُهُ عَشَرَاته، وَرَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس، مَرْفُوعًا: «هَلَكَ مَنْ غَلَبَ وَاحدُهُ عَشْرًا »(وينظر جامع العلوم والحكم).

وبعد ذلك، هلا استثمرنا مواسم الطاعات لاستجلاب الرحمات ومضاعفة الحسنات وغفران السيئات؟!

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٤٩)

إعداد/ علي حشيش

٢٥٥- " إذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ غَفَرَ اللَّهُ لِلْحَاجِّ الْمُخْلِصِ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ مُزْدَلِفَةَ غَفَرَ اللَّهُ لِلتُّجَّارِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ مِنًى غَفَرَ اللَّهُ لِلْجَمَّالِينَ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ غَفَرَ اللَّهُ لِلسُّؤَالِ، وَلا يَشْهَدُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ خَلْقٌ مِمَّنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِلا غُفِرَ لَهُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٠/١) قال: حدثنا عمر بن سعيد بمبنج، حدثنا أبو عبد الغني القسطلي، حدثنا مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: قد يغتر من لا دراية له بالصناعة الحديثية بهذا السند حيث قال الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٥٣) قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن سليمان، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة». اهـ.

فيظن أن هذا الحديث صحيح بل من أصح أسانيد أبي هريرة ولكن علماء الجرح والتعديل كشفوا عن علة هذا الخبر وهو أبو عبد الغني القسطلي، قال الإمام ابن حبان: «الحسن بن علي الأزدي أبو عبد الغني من أهل القسطل موضع في الشام، يروي عن مالك وغيره من الثقات ويضع عليهم، لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه بحال، وهذا شيخ لا يكاد يعرفه إلا أصحاب الحديث لخفائه ولكني ذكرته لئلا يغتر بروايته من كتب حديثه ولم يسبر أخباره». اهـ.

قلت: وفي ذلك أكبر دليل في الرد على ما ادعاه المستشرقون- جهلاً وبهتانًا بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن. اهـ.

٢٥٦- " إنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لا يُكَفِّرُهَا إِلا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤٠/١) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٢٥٧- "" إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ لَقِيَتْهُ الْمَلائِكَةُ، فَقَالُوا: بِرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ، لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن الجوزي في «العلل» (٥٧٠/٢) ح(٩٣٣) من حديث ابن عباس مرفوعًا وعلته محمد بن زياد، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٠/٢): «محمد بن زياد الجزري اليشكري الحنفي يروي عن ميمون بن مهران، روى عنه العراقيون، كان ممن يضع الحديث على الثقات ويأتي على الأثبات بالأشياء المعضلات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار عند أهل

الصناعة خصوصًا دون غيرهم». اهـ.
وقال ابن الجوزي: «محمد بن زياد كذاب يضع الحديث، قال الفلاس والسعدي والدارقطني هو كذاب». اهـ.

٢٥٨- " زَيِّنُوا مَجَالِسَ نِسَائِكُمْ بِالْمِغْزَلِ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٣٠/٦) (١٦٣٢/١١)، والخطيب في «التاريخ» (١٨٠/٥) من حديث ابن عباس مرفوعًا وآفته محمد بن زياد اليشكري وهو كذاب وضاع كما بينا، وقال ابن عدي حدثنا حماد، حدثني عبد الله عن أبيه قال: «وسألته عن محمد بن زياد الميموني فقال: أعور كذاب خبيث يضع الحديث». اهـ.

٢٥٩- " كَبَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى آدَمَ أَرْبَعًا ".

الحديث لا يصح، أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٥١/٢)، وابن عدي في «الكامل» (١٣٠/٦) (١٦٣٢/١١) من حديث محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا وآفته محمد بن زياد واليشكري الكذاب الخبيث الوضاع. قاله الإمام أحمد بن حنبل كما بينا آنفًا.

٢٦٠- " إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤٢/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

٢٦١- " مَنْ أَحْيَا اللَّيَالِيَ الْأَرْبَعَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ: لَيْلَةَ التَّرْوِيَةِ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ، وَلَيْلَةَ النَّحْرِ، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «العلل» (٥٦٨/٢) (ح٩٣٤) من حديث عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن وهب بن منبه عن معاذ بن جبل مرفوعًا، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٠٥/٢/٥٠٣٠): «عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي، عن أبيه وغيره، قال البخاري: تركوه، وقال يحيى: كذاب، وقال مرة: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: غير ثقة، وقال أبو حاتم: ترك حديثه، وقال أبو زرعة: واه، لذلك قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال يحيى: عبد الرحيم كذاب، وقال النسائي: «متروك الحديث»».

٢٦٢- "مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، وَإِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا".

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (ح١٤٩٣)، وابن ماجه في «السنن» (ح٣١٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢١/٤-٢٢٢) من طريق عبد الله بن نافع عن أبي المثنى سليمان بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» بقوله: «قلت: سليمان واه، وبعضهم تركه». اهـ.

قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٤٩/٢/١): «سمعت أبي يقول: «أبو المثنى هذا منكر الحديث ليس بقوي». اهـ.

قلت: وهي العلة الحقيقية أما قول الإمام ابن الجوزي- عفا الله عنا وعنه- في «العلل» (ح٩٣٦): «حديث لا يصح عبد الله بن نافع قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك». اهـ. وبالرجوع إلى كتاب «الضعفاء الصغير» للبخاري وجدنا أن هذا الجرح في عبد الله بن نافع مولى ابن عمر رقم (١٩٧)، وكذلك عند النسائي في «المتروكين» (٣٤٤)، أما عبد الله بن نافع راوي هذا الحديث هو الصائغ أبو محمد ثقة وتتركز العلة في أبي المثنى سليمان.

منبر الحرمين

ذم الإسراف

إعداد/ د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام

الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي خلقَ الخلق وبرأ، وأحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَه وذرا، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ (طه: ٦)، أحمدُه- سبحانه- وأشكُره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، على نعمٍ تتكاثر، وآلاءٍ تترَى.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ الحقِّ واليقينِ والإخلاص، بلا شكٍّ ولا امتراء، وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه، المبعوثُ من أمِّ القُرى، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، وأزواجه أمَّهات المؤمنين، خيرِ القرون وسادة الورَى، والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا ما صبحٌ أقبل، وليلٌ سرى.

أما بعد: فأوصيكم- أيُّها الناس- ونفسي بتقوَى الله، فاتَّقوا الله- رحمكم الله-، فالميزانُ عند الله التقوَى، وليس الأغنَى وليس الأقوى.

فانظُر- يا عبدَ الله- مقامَك عند ربِّك لا عند البشر؛ فكم من مشهورٍ في الأرض، مجهولٍ في السماء، وكم من مجهولٍ في الأرض، معروفٍ في السماء!

أخفَى الله القبول، لتبقَى القلوبُ على وجَل، وأبقى بابَ التوبة مفتوحًا، ليبقَى العبدُ على أمَل، وجعَل العبرةَ بالخواتيم، لئلا يغترَّ أحدٌ بالعمل، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر: ٥٣- ٥٥).

معاشر المسلمين:

لقد جعلَ الله حياةَ ابن آدم قائمةً على المال، في بقائها، وكمالها، وعزِّها، وسعادتها، وعلمِها، وصحَّتها وقوَّتها، واتِّساع عُمرانها، وسُلطانها، لقد جعلَه- سبحانه- قوامَ الناس والحياة، فقال- عزَّ شأنُه-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ (النساء: ٥)، أي: يستقيمُ بها المعاش، وتقومُ عليها المصالحُ العامَّةُ والخاصَّة.

ووصفَه- سبحانه- بأنه زينةُ الحياة الدُّنيا، فقال- جل وعلا-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦).

وحفظُ المال في الإسلام هو أحد الضروريات الخمس، التي يقومُ عليها الدِّين، وتقومُ عليها الدنيا.

يقولُ الحافظ ابن القيِّم- رحمهُ الله-: «واعلَم أنَّ الله جعلَ المالَ قوامًا للأنفُس، وأمرَ بحفظه، ونهَى أن يُؤتَى السفهاء من الرجال والنساء والأولاد وغيرهم».

يقولُ بعضُ السلف: «لا مَجدَ إلا بفعال، ولا فعالَ إلا بمال».

ومن هنا قال عمرُ- رضي الله عنه-: «الخَرَقُ في المَعيشَة أَخوَفُ عِندي عَلَيكُم مِنَ العَوَز، وَلا يَقِلُّ شَيْءٌ مَعَ الصَّلاح، ولا يَبقَى شَيْءٌ مَعَ الفَساد».

والشريعةُ لم تحرِّم اكتسابَ المال، وتنميَتَه وحفظَه؛ بل حثَّت على ذلك، وحضَّت عليه، ولكنَّها حرَّمت الطرقَ الممنوعة في كسبه وإنفاقه.

معاشر الإخوة:

تعظُمُ الأمةُ وترقَى في سماء العزَّة والمَنَعة بخِصالٍ، من أكبرها وأظهرها: حفظُها

لمالها، واقتصادُها في معاشها، وترشيدُها في إنفاقها، لا فضلَ لأمة أن تضعَ على موائدها ألوانَ الأطعمة، وصنوفَ المآكل، إنما فضلُها أن يكون لها رجالٌ سليمةٌ أبدانُهم، قويَّةٌ عزائمُهم، نيِّرةٌ بصائرُهم، عاليةٌ طمُوحاتُهم، عظيمةٌ قمَمُهم.

إنَّ الإغراقَ في ملذَّات المطاعم، والتَّكالُبَ على حُطام الدُّنيا، أنزَلُ قَدرًا من أن يُتهافَت عليه على نَحو ما يظهرُ على بعضِ أبناءِ هذا الزمان.

معاشرَ الأحبة:

الإسراف يُفضي إلى الفقر والفاقة، المُسرفُ يُطلقُ يدَهُ في الإنفاق إرضاءً لشهواته، واتباعًا لنَزَوَاته، وكم من بيوتٍ أسَّسها آباءُ مُقتدرُون، وفي إنفاقهم راشدُون، فورثَهم أبناءُ مُسرفون، أطلقُوا لشهواتهم العَنان، فتهَدَّمَت بيوُتُهم، وتبدَّدَت ثرواتُهم، وتلك عاقبةُ المسرفين، ومآلاتُ المُترَفين.

التعلُّقُ بلذائذ العيش، ومُشتهَيات النفوس يُقَوِّي الحرصَ على الحياة، ويُقصي عن مواقع الفداء والعَطاء، والعزَّة وعُلوِّ الهمَّة. النفوسُ المُسرفة يضعُفُ طمُوحُها، تصرفُها لذَّاتُها عن الاهتمامات الجادَّة، وتصُدُّها عن طرُقِ الإبداع والابتكار.

إن مِن البيِّنِ المعلوم أن النبوغ والعبقريَّة، والتطلُّعَ إلى المعالي لا تُدرَكُ إلا باحتمالِ المكاره، وركوب المصاعب، واقتحام الأخطار، والمُسرِفُ ضعيفُ العزيمة، هزيلُ التطلُّع، ومن ربطَ همَّتَهُ بطمُوحٍ كبيرٍ واشتغلَ لتحصيله، انصرفَ عن فنونِ اللهو، وألوانِ الملذَّات، ولا يَنالُ المُنَى إلا مَن هَجَرَ اللذائذ.

إن الذين يُبالغُون في التَّشبُّع والامتلاء، وابتكار أفانينِ الطهي وضُروبِ التلذُّذ، لا يصلُحُون للأعمالِ الجليلة، ولا تُرشِّحُهم همَمُهُم القاعدة لعزَّةٍ وتَضحيَة.

أيُّها الإخوة في الله:

الإسرافُ يُجَرِّئُ النفوسَ على ارتكاب الجَور والمظالم؛ لأن همَّ المُسرف إشباعُ شهوته، فلا يُبالي أن يأخُذَ ما يأخُذ، من طرقٍ مشروعةٍ أو غير مشروعة، فيمُدُّ يدَه إلى ما في يد غيره بطرقٍ مُلتوية، ووسائل مُريبة. الغارقُ في ملذَّاته تضعُفُ أمانتُه، فاتباعُ الشهواتِ عنده طاغ، والميولُ للملذَّات لديه غالب.

الإسرافُ يدفعُ بصاحبه إلى الإمساك عن بَذلِ المعروف، وفعل الخير، فملذَّاتُه أخذَت عليه مجامعَ قلبِه، فهمُّه وهمَّتُه، إعطاءُ نفسه مُشتهَاها، في مطعومه وملبوسه ومركوبه وأثاثه. المُسرفون يقبضُون أيديَهم، والكرامُ يبسُطُونها لذوي الحاجات، من الفقراء والمنكوبين والمُشرَّدين، ابتغاءَ رضوانِ الله، وشعورًا بالمسئولية، واعترافًا بفضلِ الله ونعمائه، مع ما يستبطنُونه من بواعث المروءة، وحقوق الأخوَّة، ونُبل المشاعر.

أيها المسلمون:

والسَّرَفُ- حفظكم الله ورعاكم- يعارضُ حفظَ المال، وقد قيل: «مَن حفظَ المالَ حفظَ الأكرَمَين: الدِّينَ والعرض».

ولما بلغَ بشرَ بنَ الحارث أن أسرةً أسرفَت في الإنفاق من تركة ورثَتها، قال لهم: «عليكم بالرِّفق والاقتصاد في النفقة؛ فلأن تبيتُوا جياعًا ولكم مالٌ، أحبُّ إليَّ من أن تبيتُوا شباعًا لا مالَ لكم».

ويقول أبو الدرداء- رضي الله عنه -: «إن من فقه الرجل: رفقَه في معيشته».

والإنسانُ يطغَى إذا استغنَى، ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٧)، ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (العلق: ٦، ٧).

معاشر المسلمين:

لقد ظهرَ السَّرَفُ في العصور المتأخرة بشكلٍ مُزرٍ، فالواجدُ يُسرف، والذي لا يجد يقترضُ من أجل أن يُسرِف، ويلبِّي كمالياتٍ هو في غنىً عنها، وهذا من ماديات هذا العصر، وثقافته في غرائزه وشهواته، وغفلَته.

معاشر الإخوة:

للإسراف آثارٌ في الصحة وانحرافها، وفي حديث المقداد بن معدِ يكرِب- رضي الله

عنه- قال: سمعتُ رسولَ الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسْبِ ابنِ آدمَ لقيماتٌ يُقِمْنَ صلبَه، فإن كان لا محالةَ، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه» (رواه أحمد، والترمذي، والنّسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: «حديثٌ حسَنٌ»).

الإفراطُ في المأكل والشّبَع، وإدخالُ الطعام على الطعام، والخضوعُ لمُشتهَيات النفوس، كلُّ ذلك إيذاءٌ للنفس، وانحرافٌ في الصحّة، وإضاعةٌ للمال، وقعودٌ في الهمّة، والمؤمنُ يأكلُ بأدبِ الشرع، فيأكُلُ في معيٍّ واحد، وغيرُ المؤمنِ يأكُلُ بمُقتَضَى الشهوةِ والشَّرَهِ والنَّهَم، فيأكلُ في سبعةِ أمعاء. بالحفاظ على اللُّقمة، يكونُ الحِفاظُ على الصِّحّة، والحِفاظُ على الثروة.

ومن توجيهات علماءِ الإسلام: ما قاله ابنُ هُبَيرَةَ- رحمه الله-، يقول: «لا يَنبغي للمُسلم أن يتناوَل فوقَ حاجته؛ لأنه قُوتُه وقوتُ غيره، فالقسمةُ بينَه وبين غيره لم يُمكن تقديرُها إلا بالإشارة بحسب الاحتياج، فإذا أخذَ شيئًا هو مُشاعٌ بينَه وبين غيره أكثرَ من حاجته فقد ظلمَ غيرَه بمقدار التفاوُت».

وقالوا: إن من السَّرَف أن يُلقَى على مائدةٍ من الخبز أضعافُ ما يحتاجُ إليه الآكلُون، ومن السَّرَف أن يضعَ لنفسه ألوانَ الطعام.

ويقول الإمام أحمد: «المرءُ يأكلُ بالسُّرورِ مع الإخوان، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءَة مع أبناء الدُّنيا، وبالتعلُّمِ والاتّباع والأدبِ مع العلماء».

معاشر الإخوة:

يسير عالَمُ اليوم بالإسراف، في استهلاكه في طريق هلاكه. قُطعانٌ من البشر لا يمتدُّ بصرُها ولا بصيرَتُها أبعَدَ من التراب وما يُشبهُ التراب، تلتَهِمُ كل ما يُتاحُ لها من خلال ما عُرف بـ «حُمَّى الاستهلاك»؛ بل هو: سَفَهُ الاستهلاك.

إسرافٌ في الملابس والأزياء، وجريٌ وراء أدوات الزينة، ومُحدَثات الأزياء ومُبتكَرَاتها، في نفقاتٍ مُرهِقة، ومسالك مُهلكة، وتصرُّفاتٍ سيئة. إسرافٌ في المناسبات الاجتماعية، في الأفراح وفي الأتراح، مُغالاةٌ في المُهُور والنفقات، والاحتفالاتِ والمأكولات، وأغلَبُ ما يُنفَقُ يذهب إلى صناديق القمامة، ومُوقَ النفايات. فنعوذُ بالله من كُفران النِّعَم.

إسرافٌ في السفرِ ونفقاته، ناهيكُم إذا كان السفرُ مُحرَّمًا- عياذًا بالله-، فيجتمِعُ بلاءٌ إلى بلاء. إسرافٌ في استخدام المرافق من الماء والكهرباء، في الإنارة والتكييف وغيرها، والماءُ أرخصُ موجود وأعزُّ مفقود، ويُهدرُ بلا حساب. فاتَّقُوا اللهَ في نعَم الله- حفظَكم الله-.

وكما يُنكَرُ سَرَفُ الأفراد، فيُنكرُ سَرَفُ الجماعات، والهيئات والمؤسسات، والشركات والدُّوَل، وهو يحملُ آثارًا وخيمةً، وأبعادًا خطيرةً على اقتصاد الدول وثرواتها، مما يؤدّي إلى خسائرها، وإعلان إفلاسها- عياذًا بالله-، وهل غايةُ الإسراف إلا الحسرةُ والندامة؟! ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩).

وبعدُ.. عباد الله:

فدينُكم يُربِّي على الاستغناءِ عن الأشياء، وليس الاستغناءَ بها، حتى لا يكونَ الناسُ عبيدَ الدِّرهَم والدِّينار، والاستهانةُ بالقليل تجُرُّ إلى الاستهانة بالكثير، ومن ضيَّعَ القليلَ أضاعَ الكثيرَ، يكسبُ في الدُّنيا ذمًّا، وفي الآخرة إثمًا.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود: ١١٦، ١١٧).

معاشر المسلمين:

إن للبدن مطالبَ اتفقَ العُقلاءُ على أن انتقاصَها إضرارٌ به، والمذمومُ الممقوت هو مسلكُ المُسرفِين، فالإسرافُ المذمومُ غيرُ قصد الزينة، والملاذُ في حدود الاعتدال، المدلول عليه في قوله- سبحانه-: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، وفي قوله- عزَّ شأنُه-: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

وسلوكُ الوسَط هو مَسْلكُ عبادِ الرحمن، المدلولُ عليه في قوله- عزَّ شأنه-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ (الفرقان: ٦٧).

والمذمومُ ما أُخِذَ من غير حلِّه، ووُضِعَ في غير محلِّه، واستعبدَ صاحبَه، وملَكَ عليه قلبَه، وشغَلَه عن الله والدار الآخرة، وعن حقوق أهله وإخوانه.

وحينما قالوا: «لا خيرَ في الإسراف»، قالوا: «لا إسرافَ في الخير».

ويقولُ سفيانُ بن عُيينة- رضي الله عنه-: «ما أنفقتَ في غير طاعة الله إسرافٌ، وإن كان قليلاً». ويقول شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة- رحمه الله-: «الإسرافُ في المُباحات هو مُجاوزةُ الحدِّ، وهو من العُدوان المُحرَّم، وتركُ فُضولها من الزُّهد المباح».

بل قالوا: «إن ما صُرِف فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، فهو إسرافٌ مذمُوم».

ووَيلٌ لمن أبطَرَته النعمةُ وسَعَةُ العيش، فطغَى واستغرقَ عُمرَه في الشهوات.

ألا فاتَّقُوا الله- رحمكم الله-، واعلَمُوا أنَّ على الإعلام بأنواعه ودعاياته كفلاً كبيرًا، ومسئوليةً عُظمى، بالتوجيه والتوعية، والترغيب والترهيب. والإعلاناتُ التجارية، والاستهلاكية غيرُ الراشدة تتولَّى في ذلك كذلك كِبرًا عظيما، فيجبُ ترشيدُها وتهذيبُها، ومُساعدةُ الناس على حفظ أبدانهم وأموالهم.

هذا، وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداة، والنِّعمة المُسداة: نبيِّكم محمد رسول الله؛ فقد أمرَكم بذلك ربُّكم، فقال- عزَّ قائلاً عليمًا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد، النبيِّ الأميِّ الحبيب المُصطفى، والنبيِّ المُجتَبَى، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمَّهات المؤمنين، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكرٍ، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وجُودك وكرمِك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الشرك والمشركين، واخذُل الطغاةَ والملاحِدَةَ وسائرَ أعداء الملَّة والدين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلِح أئمَّتنا وولاةَ أمورنا، واجعَل اللهم ولايتَنا فيمن خافَك واتَّقاك، واتَّبَع رضاك يا رب العالمين.

اللهم أصلِح أحوال المُسلمين، اللهم أصلِح أحوال المُسلمين في كل مكان، اللهم احقِن دماءَهم، واجمَع على الحقِّ والهُدى والسنَّة كلمتَهم، وولِّ عليهم خيارَهم، واكفِهم أشرارَهم، وابسُط الأمنَ والعدلَ والرخاءَ في ديارهم، وأعِذهم من الشُّرور والفتَن ما ظهرَ منها وما بطَن.

اللهم اغفر ذنوبنا، اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ونفِّس كروبَنا، وعافِ مُبتلانا، واشفِ مرضانا، وارحَم موتانا.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣).

سُبحان ربِّك ربِّ العزَّة عما يصفون، وسلامٌ على المُرسَلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

إكمال الدين وإتمام النعمة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا.

وبعدُ: ففي يوم عظيم مبارك وموقف مهيب، وفي ساعة طيبة مباركة نزل على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد قول الحق تبارك وتعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣)، قال ابن كثير رحمه الله: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً» أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين، تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه».

روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أميرَ المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرءونها، لو علينا نزلتْ -مَعْشَرَ اليهود- لاتخذنا ذلك اليومَ عيدًا، قال: فأيُّ آية؟ قال: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا»، فقال عمر: إني لأعْلَمُ اليومَ الذي نزلتْ فيه، والمكانَ الذي نزلت فيه: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات، في يوم جمعة».

فهذه الآية العظيمة تاج على رأس كل مسلم، وشهادة إعزاز وتكليف لكل مسلم، وقد أدرك كعب الأحبار عظمة هذه الآية وهو الحبر الكبير من أحبار اليهود وقد أسلم في عهد عمر وهو الذي قال له العبارة المشار إليها، وقد أجاب عمر رضي الله عنه أنه يعرف الآية ويعرف مكانها ويعرف مكان نزولها ووقت نزولها والساعة بالتحديد، وقد نزلت في يوم عرفة، وهو أفضل أيام العام وكان يوم جمعة وهو خير أيام الأسبوع، وفي الساعة الأخيرة منه، وهو على الراجح الساعة التي فيها دعوة مستجابة يدعو بها عبد مسلم، وقد صرح باسم كعب الأحبار جماعة من أهل العلم منهم العلامة الألباني رحمه الله، وفي السطور التالية نتعرف معًا على المقصود بإكمال الدين والفرق بين الإكمال والإتمام، ثم نستخلص بعون الله ما تيسر من فوائد من الآية الكريمة، وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: معنى أكملت لكم دينكم:

يمكننا استخلاص الإكمال حول ثلاثة محاور:

المحول الأول: استكمال مسيرة الأنبياء:

إن الدين قد اختاره الله لعباده، وأرسل به رسله، وأنزل به كتبه يدعون الناس

إليه على مرِّ التاريخ من لدن آدم حتى ختم بالنبي الأمي، فالدين هو الإسلام، وقد جاء الأنبياء يدعون إلى هذا الدين ابتداء من آدم مرورًا بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى، وختامًا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما.

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون: هلا وضعت اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». وفي رواية في صحيح مسلم: «وأنا اللبنة جئت فختمت الأنبياء».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك؛ أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين». صححه الألباني بدون العبارة الأخيرة، وكذلك صححه الأرناؤوط دون قوله: «وكذلك أمهات النبيين ترين».

إذن ببعثة النبي الخاتم كملت المسيرة الدعوية إلى دين الله، فصار لزامًا على جميع الخلق اتباع هذا النبي الذي لا نبي بعده، ولا كتاب بعد كتابه، ولا دين إلا ما جاء وهو ملة إبراهيم، وجميع الأنبياء، وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم مصدقًا لما جاء به من سبقه من النبيين ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، قال تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (آل عمران:٨٣- ٨٥).

المحور الثاني: من محاور الإكمال هو إكمال التشريع:

ونحب أن نؤكد هذا أن الدين في أصله واحد لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقص، ألا وهو تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى ودعوتهم إلى توحيده عز وجل، وعلى هذا قامت دعوة جميع الأنبياء، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء:٢٥).

وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» (النحل:٣٦).

والنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم لم يخرج عن ذلك، بل جاء يؤكده ويدعو إليه، قال الله تعالى: «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ» (هود:٢)، وقال تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ» (فصلت:٦)، هكذا الدين في أصله واحد أي العقيدة واحدة لا تتغير ولا تتبدل وإنما يحدث الإكمال في التشريع الذي يختلف من أمة إلى أخرى بحسب أحوال كل أمة وطاقتها على التحمل، والله أعلم بأفعال عباده، لذا شرع لكل أمة ما يناسبها، قال الله عز وجل: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة:٤٨).

هذا فيما يتعلق بأحكام الحلال والحرام والفعل والترك جعل الله لكل أمة ما يناسبها من الأحكام التي قد تتفق في

أصولها مع اختلافها في جزئيات الله أعلم بها ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والقرآن آخر الكتب، جعل الله لرسوله من الشريعة أكملها وأتمها، قال الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الجاثية:١٨)، لأنها الشريعة التي أكملها الله وأتمها كما قال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (الأنعام:١١٥).

فهذه إشارة إلى الإكمال والتمام التي انتهيت إليه شريعة النبي الخاتم، لذلك جعلها الله شريعة تامة غير قابلة للتبديل ولا التغيير لأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا كتاب بعد القرآن، وشاء الله أن يجعل شريعة القرآن صالحة ومُصلحَة لكل زمان ومكان، وبكمال الشريعة، فلا مجال لصاحب هوى أو مبتدع يخالف النص الصريح برأيه الفاسد القبيح، وقد اجتهد العلماء في استخلاص خصائص الشريعة الإسلامية، نذكر أهمها:

١- ربانية المصدر، فالذي شرع هو الله الذي خلق ويعلم من خلق وهو غني عن خلقه لا يظلم مثقال ذرة.

٢- الدوام والثبات.

٣- الكمال.

٤- المرونة.

٥- الشمول.

٦- الواقعية.

٧- التوازن.

٨- الوسطية والدقة.

وهذه إشارة سريعة إلى بعض خصائص التشريع الإسلامي الذي أكمله الله لهذه الأمة عبادة وأخلاقًا ومعاملات والكلام في محاسن التشريع ليس موضوعه هنا لكنها إشارة عابره.

المحور الثالث من محاور الإكمال: إكمال التمكين:

وهذا المحور أشار إليه الإمام ابن كثير في تفسيره لسورة التوبة، حيث قال رحمه الله: «وأول هذه السورة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق أميرًا على الجميع تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا البيت بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس بصدر سورة (براءة)، فلما مضى أتبعه بعلي رضي الله عنه مبلغًا عن رسول؛ لكونه من عصبه». اهـ.

ويؤكد ما ذهب إليه ابن كثير ما رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة من المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج البيت بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان».

ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة، قال: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وحاصل هذا أن الحج لما فُرض في العام التاسع الهجري على الراجح من أقوال العلماء، وهم النبي بالحج وكان للمشركين عهد ألا يمنعوا من حج البيت، وكان المشركون يطوفون عرايا رجالا ونساء ومنهم من يفعل ذلك، فكان أمام النبي صلى الله عليه وسلم أحد أمرين: إما أن يحج مع المشركين ويرى ما يكره، أو يمنعهم عنوة، فكره هذا وهذا، واختار أن يرسل أبا بكر أميرًا على الحج ليقيم

مناسك الحج ويخبر المشركين بانتهاء عهدهم وأن لا مكان لهم في الحج بعد العام. وبهذا أيضًا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا مؤكدًا وموازرًا لأبي بكر رضي الله عن الجميع، كما وضحت رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن هنا أجَّل النبي صلى الله عليه وسلم حجته للعام العاشر وهي حجة الوداع المشهورة والمعروفة والتي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يزاحمه مشرك أو يحج بجانبه عريان، ونزل فيها قول الحق تبارك وتعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣) في عصر ذلك اليوم وكان يوم جمعة، فجمع الله فيه للمسلمين بين عيدين، وهذا فضل الله يمتن به على من يشاء من عباده، وكان فضل الله على الأمة وعلى نبيها عظيمًا، وبعد هذا البيان الذي أفاء الله به نستطيع استخلاص بعض الفوائد التالية:

١- قال صاحب فروق اللغة: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، قال ابن القيم رحمه الله: "اختار الله الإكمال للدين والإتمام للنعمة ولعله يقصد بذلك أن الدين ما كان ناقصًا ألبتة، بل كان أبدًا كاملاً وكانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت بحسب أحوال أهل ذلك الوقت كما سبق البيان، كما أن العقيدة واحدة لا تتقيد.

٢- لا مفر أمام جميع الخلق عربهم وعجمهم إلا أن يدخلوا في دين الله بعث به النبي الخاتم، فهذا هو الحق الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

٣- على المسلمين أن يذكروا نعمة الله عليهم، أن اختار لهم الدين وسماهم المسلمين على لسان إبراهيم وإسماعيل، وفي القرآن الكريم الذي امتن عليهم به وامتن عليهم بالرسول الخاتم وليشركوا الله حق شكره حتى يمكن لهم كما مكن للرسول وأصحابه دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا.

٤- في الآية الكريمة رد على طوائف من الروافض الذين أنزلوا الآية على غير مكانها وأولوها بغير تأويلها وزعموا زعمًا باطلاً أنها نزلت في ولاية علي يوم «غديرخم».

٥- الرد على أهل الضلال من القاديانية الذين يزعمون زعمًا باطلاً بنبوة زعيمهم، وهذا من أبطل الباطل.

٦- من إكمال الدين تمكين المسلمين من إقامة شعائرهم على الوجه الصحيح، وأن يبسط سلطان الله على أرض المسلمين بتطبيق شرعه.

هذا والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

إنه لمن دواعي سروري أن أتقدم بالأصالة عن نفسي ونيابة عن أعضاء مجلس إدارة المركز العام واللجنة العلمية والعاملين بمجلة التوحيد بأرق التهاني والتبريكات لأخي وحبيبي المستشار أحمد السيد إبراهيم، الكاتب بمجلة التوحيد، لترقيته نائبًا لرئيس هيئة قضايا الدولة، متمنين له دوام التوفيق والترقي.

رئيس التحرير

أحكام الأضحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فمع اقتراب شهر ذي الحجة وحلول عيد الأضحى يكثر الحديث عن سنة الأضحية، وفي هذا العدد نتناول أهم أحكام الأضحية، ونسأل الله التوفيق والسداد.

إعداد/ د. حمدي طه

تعريف الأضحية:

لغة: الأُضحيَّة بتشديد الياء وبضمِّ الهمزة أو كسرها، وجمعها الأضاحيّ بتشديد الياء أيضًا، ويُقال لها: الضَّحيَّة بفتح الضَّاد وتشديد الياء، وجمعها الضَّحايا، ويُقال لها أيضًا: الأَضحاة بفتح الهمزة وجمعها الأضحى اسم لما يضحى به.

وفقها: اسمٌ لما يُذكى من النَّعم تقربا إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٥/٧٤ بتصرف).

مشروعية الأضحية:

الأُضحيَّة مشروعة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع: أما الكتاب فقوله تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ» (الكوثر: ٣) قيل في تفسيره: صَلِّ صلاةَ العيد وانحر البُدْنَ. وقوله تعالى «وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ» (الحج:٣٦) أي من أعلام دين الله. وأمَّا السُّنَّة فأحاديثُ تحكي فعلَه صلَّى الله عليه وسلَّم لها، وأُخرى تحكي قولَه. فمنْ ذلكَ ما صَحَّ منْ حديث أنس بن مالك رضي الله عنهُ أنَّه قال: «ضحَّى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمَّى وكبَّر، ووضع رجله على صفاحهما». وأجمع المسلمون على مشروعية الأضحية. وقد شرعت التَّضحية في السَّنة الثانية من الهجرة النَّبويَّة، وهي السَّنة التي شرعت فيها صلاةُ العيدين وزكاةُ المال.

الحكمة من مشروعية الأضحية:

١- إحياء سُنَّة سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حينَ أمرَهُ اللهُ بذبح الفداء عَنْ وَلَده إسماعيل عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في يوم النَّحر، وأنْ يتذكر المُؤمنُ أنَّ صبرَ إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلامُ وإيثارَهما طاعةَ الله ومحبَّتَه على محبَّة النَّفس والولد كانا سببَ الفداء ورفعِ البلاء، فإذا تذكَّر المُؤمنُ ذلك اقتدى بهما في الصَّبر على طاعة الله وتقديم محبَّته عزَّ وجل على هوى النَّفس وشهوتها.(الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٤/٢٤٥).

٢- شُكر الله تعالى على نعمة الحياة: فالله سبحانه وتعالى قد أنعم على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى كنعمة البقاء من عام لعام. ونعمة الإيمان ونعمة السمع والبصر والمال؛ فهذه النعم وغيرها تستوجب الشكر للمنعم سبحانه وتعالى، والأضحية صورةٌ من صور الشكر لله سبحانه وتعالى.

٣- التوسعة: فذبح الأضحية وسيلة للتوسعة على النفس وأهل البيت وإكرام الجيران والأقارب والأصدقاء والتصدق على الفقراء وهذه كلها مظاهرُ للفرح والسُّرور بما أنعمَ اللهُ به على الإنسان. وقد مضت السنة منذ عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- في التوسعة على الأهل وإكرام الجيران والتصدق على الفقراء يوم الأضحى، فقد ثبت في الحديث عن أنس- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:(من ذبح قبل الصلاة

فليعد.فقال رجل: هذا يوم يشتهى فيه اللحم وذكر هَنَة من جيرانه فكأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عذره، وقال عندي جذعة خير من شاتين فرخص له النبي- صلى الله عليه وسلم-...) الحديث رواه البخاري ومسلم. قال الحافظ ابن حجر:(قوله وذكر فيه هَنَة بفتح الهاء والنون الخفيفة بعدها هاء تأنيث، أي حاجة من جيرانه للحم) (انظر في هذا المفصل في أحكام الأضحية د. حسام الدين عفانه ص١٦ بتصرف).

حكم الأضحية:

اختلف الفقهاء في حكم الأضحية، هل هي واجبة أم سنة؟

فقال أبو حنيفة وأصحابه واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية: إنها واجبة مرة في كل عام على المقيمين من أهل الأمصار، وقال الجمهور: إنها سنة مؤكدة غير واجبة، ويكره تركها للقادر عليها. ودليل الحنفية على الوجوب: هو قوله عليه السلام: «من وجد سعة، فلم يضح، فلا يقربن مصلانا » قالوا: ومثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب. قال الكاساني: وهذا خرج مخرج الوعيد على ترك الأضحية، ولا وعيد إلا بترك الواجب. (بدائع الصنائع ١٩٤/٤).

ولأن الأضحية قربة يضاف إليها وقتها، يقال: يوم الأضحى وذلك يؤذن بالوجوب؛ لأن الإضافة للاختصاص، والاختصاص بوجود الأضحية فيه، والوجوب هو المفضي إلى الوجود في الظاهر بالنظر إلى جنس المكلفين (تبين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين الزيلعي ٣/٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأمَّا الأضحية فالأظهر وجوبها أيضاً، فإنها من أعظم شعائر الإسلام،وهي النسك العام في جميع الأمصار،والنسك مقرون بالصلاة، في قوله تعالى» إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العلمين « ، وقد قال تعالى» فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ «فأمر بالنحر كما أمر بالصلاة.(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦٢/٢٣).

واحتجوا بحديث جندب بن سفيان البجلي- رضي الله عنه- قال:(شهدتُ مع النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم النحر، فقال: من ذبح قبل أن يصلي فليعدْ مكانها أخرى ومن لم يذبح فليذبح) متفق عليه. فقوله (فليعد) وقوله (فليذبح) كلاهما صيغة أمر وظاهر الأمر الوجوب.

واستدل الجمهور على السنية للقادر عليها بأدلة منها حديث أم سلمة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك عن شعره وأظفاره» ففيه تعليق الأضحية بالإرادة، والتعليق بالإرادة ينافي الوجوب. قال الشافعي: هذا دليل إن التضحية ليست بواجبة لقوله صلى الله عليه وسلم: (وأراد)، فجعله مفوضا إلى إرادته ولو كانت واجبة لقال فلا يمس من شعره حتى يضحي. (المجموع ٣٨٦/٨).

ومِنْهَا أَيْضًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا كَانَا لَا يُضَحِّيَانِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، مَخَافَةَ أَنْ يُرَى ذَلِكَ وَاجِبًا. رواه البيهقي وصححه الشيخ الألباني.

وَهَذَا الصَّنِيعُ مِنْهُمَا يدل على أَنَّهُمَا عَلِمَا مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَمَ الْوُجُوبِ وروى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: (إني لأدع الأضحى واني لموسر مخافة أن يرى جيراني أنه حتم علي) وصححه الشيخ الألباني (انظر الإرواء ٣٥٥/٤). وَلَمْ يُرْوَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خِلاَفُ ذَلِكَ قال ابن حزم: لا يصح عن أحد من الصحابة أن الأضحية واجبة.قلت: وما ذهب إليه الجمهور أرجح وأقوي دليلا والله أعلم.

الشروط الواجب توافرها في المضحي:

الشَّرْطُ الأَوَّل: الإِسْلَام، فَلا تَجِبُ عَلَى الكَافِر، وَلا تُسَنُّ لَه، لأَنَّهَا قُرْبَة، وَالكَافِرُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ القُرَب.

الشَّرْطُ الثَّانِي: الغِنَى- وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْيَسَار- لحديث «مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا» وَالسَّعَةُ هِيَ الغِنَى، فلا تجب علي غير القادر باتفاق. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٥/٨٠ بتصرف).

أما الإقامة والبلوغ والعقل فالأصح من أقوال أهل العلم أنها لا يشترط توافرها في المضحي.فتصح الأضحية من المسافر وكذا يصح أن يضحي ولى الصبي والمجنون من مالهما.

الشروط الواجب توافرها في الحيوان المضحي به:

(الشَّرْطُ الأَوَّل) وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ المَذَاهِب: فشرط المجزئ في الأضحية أن يكون من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم سواء في ذلك جميع أنواع الإبل من البخاتي والعراب وجميع أنواع البقر من الجواميس والعراب والدربانية وجميع أنواع الغنم من الضأن والمعز وأنواعهما وسواء الذكر والأنثى من جميع ذلك. ولا يجزئ في الأضحية إلا الأنعام لقوله تعالى: «ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام» سورة الحج/٣٤، ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه التضحية بغيرها، فَمَنْ ضَحَّى بحيوان مأكول غير الأنعام، سواء أكان من الدواب أم الطيور، لم تصح تضحيته به (انظر المجموع للنووي ٨/٣٩٣ بتصرف).

وَالشَّاةُ تُجْزِئُ عَنْ وَاحِد، وَالبَدَنَةُ وَالبَقَرَةُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنْ سَبْعَة، لحديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ البَدَنَةَ عَنْ سَبْعَة، وَالبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَة.

وتجزئ الأضحية عن الرجل وأهل بيته؛ لما روى عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قال: سَأَلْتُ أَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ كَيْفَ كَانَتْ الضَّحَايَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِه، فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ. الترمذي (١٥٠٥) وابن ماجه (٣١٤٧) صححه الألباني في صحيح الترمذي.قال في «تحفة الأحوذي»: «وهو نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الشَّاةَ الوَاحِدَةَ تُجْزِئُ عَنْ الرَّجُلِ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِه، وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَهُوَ الحَقّ». (تحفة الأحوذي- المباركفوري ٥/٧٦).

(الشَّرْطُ الثَّانِي): أن تكون قد بلغت السن المعتبرة شرعاً، فإن كانت دونه لم تجزئ، وذلك بِأَنْ تَكُونَ ثَنِيَّةً مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالمَعْز، وَجَذَعَةً مِنَ الضَّأْن، فَلا تُجْزِئُ التَّضْحِيَةُ بِمَا دُونَ ذَلِك، لقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَذْبَحُوا إلا مُسِنَّة، إلا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْن. وَالمُسِنَّةُ مِنْ كُلِّ الأَنْعَامِ هِيَ الثَّنِيَّةُ فَمَا فَوْقَهَا. ولهذا لما قال أبو بردة بن نيار- رضي الله عنه -: يا رسول الله إن عندي عناقا هي أحب إلي من شاتين أفتجزئ عني؟ قال: «نعم ولن تجزئ عن أحد بعدك»، وهذا يدل على أنه لا بد من بلوغ السن المعتبر شرعا (انظر الشرح الممتع للعثيمين ٧/٤٢٥).

وَهَذَا الشَّرْطُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الفُقَهَاء إلا ما نقل عن ابن حزم من عدم جواز التضحية بالجذعة من الضأن عند وجود المسنة (انظر المحلى لابن حزم ٧/٣٦٢)، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ الثَّنِيَّةِ وَالجَذَعَة. والأصح من هذه الأقوال أن الثَّنِيَّ من المعز: ما أتم سنة، ومن البقر والجاموس ما أتم سنتين، ومن الإبل: ما أتم خمس سنوات، أما الجذع من الضأن فالأصح أنه من أتم ستة أشهر.

الشَّرْطُ الثَّالِث: سلامتها من العيوب الفاحشة، وهي العيوب التي من شأنها أن تنقص الشحم أو اللحم إلا ما استثني. وبناءً على هذا الشرط لا تجزئ التضحية بما يأتي: العوراء البيِّن عورها، وهي التي ذهب

بصر إحدى عينيها، وفسرها الحنابلة بأنها التي انخسفت عينها وذهبت، لأنها عضوٌ مستطابٌ، فلو لم تذهب العين أجزأت عندهم، وإن كان على عينها بياض يمنع الإبصار. والعرجاء البيّن عرجها، وهي التي لا تقدر أن تمشي برجلها إلى المنسك- أي المذبح- وفسرها المالكية والشافعية بالتي لا تسير بسير صواحبها. والمريضة البيّن مرضها، أي التي يظهر مرضها لمن يراها. والعجفاء التي لا تنقي، وهي المهزولة التي ذهب نقيها، وهو المخ الذي في داخل العظام، فإنها لا تجزئ، لأنّ تمام الخلقة أمرٌ ظاهرٌ، فإذا تبيّن خلافه كان تقصيراً. ومقطوعة الأذنين أو إحداهما والأصل الذي دلّ على اشتراط السلامة من هذه العيوب كلها ما صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تجزئ من الضحايا أربعٌ: العوراء البيّن عورها، والعرجاء البيّن عرجها، والمريضة البيّن مرضها، والعجفاء التي لا تنقي». وما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال: «استشرفوا العين والأذن» أي تأملوا سلامتها عن الآفات، وما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام «أنّه نهى أن يضحّى بعضباء الأذن». وهذه الأحاديث تدل على أنه لا يجزئ في الأضحية ما كان في أحد العيوب المذكورة ومن ادعى أنه يجزئ مطلقا أو يجزئ مع الكراهية احتاج إلى إقامة دليل يصرف النهي عن معناه الحقيقي وهو التحريم المستلزم لعدم الأجزاء ولا سيما بعد التصريح في حديث البراء الجواز (نيل الأوطار للشوكاني ٥/١٧٧).

وألحق الفقهاء بما في هذه الأحاديث كلّ ما فيه عيبٌ فاحشٌ. قال ابن قدامة: أما العيوب الأربعة فلا نعلم بين أهل العلم خلافا في أنها تمنع الأجزاء وكذا ما كان في معناها أو أقبح منها كالعمى وقطع الرجل وشبهه (المغني- ابن قدامة ١١/١٠١ بتصرف).

(الشَّرْطُ الرَّابِعُ): أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكَةً للذَّابح، أَوْ مَأْذُونًا لَهُ فِيهَا صَرَاحَةً أَوْ دَلاَلَةً، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ تُجْزِئْ التَّضْحِيَةُ بِهَا عَنِ الذّابح، لأَنَّهُ لَيْسَ مَالِكًا لَهَا وَلاَ نَائِبًا عَنْ مَالِكِهَا. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٥/٨٨).

ويشترط لصحّة التّضْحية من الْمُضحّي ما يلي نية الأضحية، فلا تجزئ الأضحية بدونها، لأن الذبح قد يكون للحم، وقد يكون للقربة، والفعل لا يقع قربة بدون النية، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». (الفقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ٤/٢٥٤).

وقت الأضحية:

للفقهاء خلافات جزئية في أول وقت التضحية وآخره، وفي كراهية التضحية في ليالي العيد. لكنهم اتفقوا على أن أفضل وقت التضحية هو اليوم الأول قبل زوال الشمس؛ لأنه هو السنة، واتفقوا على أن الذبح قبل الصلاة، أو في ليلة العيد لا يجوز عملاً بحديث البراء بن عازب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا: أن نصلي، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك، فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النُسك في شيء» متفق عليه.

قال أحمد: لا يجوز قبل صلاة الإمام ويجوز بعدها قبل ذبح الإمام وسواء عنده أهل القرى والأمصار ونحوه عن الحسن والأوزاعي وإسحاق. وقال الثوري يجوز بعد صلاة الإمام قبل خطبته وفي أثنائها. وقال الشافعي وداود وآخرون: إن وقت التضحية من طلوع الشمس فإذا طلعت ومضى قدر صلاة العيد وخطبته أجزأ الذبح بعد ذلك سواء صلى أم لا وسواء

صلى المضحي أم لا، وسواء كان من أهل القرى والبوادي أو من أهل الأمصار أو من المسافرين. وذهب مالك إلى أنه لا يجوز ذبحها قبل صلاة الإمام وخطبته وذبحه واحتج لذلك بحديث جابر قال « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم النحر بالمدينة فتقدم رجال فنحروا وظنوا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نحر فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان نحر قبله أن يعيد بنحر آخر ولا ينحروا حتى ينحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم » - رواه أحمد ومسلم.

ولا يخفى أن مذهب مالك هو الموافق لأحاديث الباب وبعضها يرد على الآخر. وأما إذا لم يكن ثم إمام فالظاهر أنه يعتبر لكل مضح بصلاته والمقصود بالإمام هنا هو ولي أمر المسلمين. (انظر نيل الأوطار للشوكاني ١٨٧/٥).

وأما آخر وقت الذبح: فقال بعض أهل العلم: إن يوم الذبح هو يوم العيد فقط.وقال بعضهم: يوم العيد ويومين بعده: وتخصيصه بيومين ليس له أصل من السنة، لكنه ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - تخصيصه بيومين بعد العيد. وأصح الأقوال في ذلك أن أيام الذبح أربعة يوم النحر وثلاثة أيام بعده ودليل ذلك: أنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل أيام التشريق ذبح»، وهذا نص في الموضوع، ولولا ما أعل به من الإرسال والتدليس لكان فاصلاً في النزاع. وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله)، فجعل حكمها واحداً أنها أيام أكل لما يذبح فيها، وشرب، وذكر لله. وأنها كلها يشرع فيها التكبير، ولم يفرق أحد من العلماء فيما نعلم بين هذه الأيام الثلاثة في التكبير، فهي مشتركة في جميع الأحكام، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن نخرج عن هذا الاشتراك وقت الذبح، بل نقول: إن وقت الذبح يستمر من بعد صلاة العيد يوم النحر إلى آخر أيام التشريق.وهذا هو قول الشافعية واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو رواية عن الإمام أحمد. (انظر الشرح الممتع للعثيمين ٤٦١/٧).

مسألة: هل يجوز الادخار والأكل من لحوم الأضاحي بعد العيد؟

يجوز الادخار والأكل من لحوم الأضاحي بعد العيد لحديث سلمة بن الاكوع.

ولحديث جابر « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، ثم قال بعدُ: كلوا وتزودوا وادخروا » رواه مسلم والنسائي.

مسألة: هل يجوز بيع لحوم الأضاحي وجلودها؟

لا يجوز بيع لحوم الأضاحي وجلودها، ولا يعطى الجزار من لحمها شيئا لحديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال « أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقوم على بدنه، وأن أتصدق بلحومها وجلودها وأجلتها، وأن لا أعطي الجازر منها شيئًا وقال نحن نعطية من عندنا » متفق عليه.

كيفية توزيع الأضحية:

يسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب ويتصدق منها على الفقراء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كلوا وأطعموا وادخروا » وقال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويدخر الثلث.

وقال بعض العلماء: بل يأكل ما شاء ويتصدق ويهدي ما شاء واحتج لذلك بحديث بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة ليتسع ذوو الطول على من لا طول له، فكلوا ما بدالكم وأطعموا وادخروا » رواه الترمذي ١٥١٠ وصححه الألباني.

قال: فيه دليل على عدم تقدير الأكل بمقدار وأن للرجل أن يأكل من أضحيته ما شاء وان كثر ما لم يستغرق بقرينة قوله « وأطعموا ».

نسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التقوى خير زاد للحاجّ

قال تعالى: "﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾" (البقرة: ٧٩١).

من دلائل النبوة

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وَجِع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة. (متفق عليه).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: يا أيها الناس! خذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا. (سنن النسائي وصححه الألباني).

من فضائل الحج

عن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ" (متفق عليه).

خير الدعاء

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره، وأتي بكبش، فذبحه وقال: «بسم الله، والله أكبر. هذا عني وعمن لم يُضَحِّ من أمتي». [صحيح سنن أبي داود: ٢٨١٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له سعة، ولم يُضَحِّ فلا يقربن مصلانا». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٤٩].

آداب زيارة المسجد النبوي

يعتقد بعض الناس أن حجه يكون ناقصًا إذا لم يزر قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقف عنده ويدعو ويستشفع به. والصحيح أن هذا ليس من أفعال الحج ولا من واجباته ولا سننه. ولزيارة المسجد والقبر آداب حرص الصحابة على الأدب في زيارة المسجد النبوي، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا دخل المسجد النبوي قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف.

إعداد/ علاء خضر

من سنن وآداب الطواف

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطواف حول البيت صلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلمن إلا بخير". (أخرجه الترمذي وصححه الألباني).

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له". (أخرجه الترمذي وحسنه الألباني)

المضحي لا يحلق شعرًا

عن أم سلمة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره". (صحيح مسلم).

فضل العشرة الأُوَل من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه". قالوا: ولا الجهاد؟ قال: "ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء". (صحيح البخاري).

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة).

(صحيح مسلم).

من سنن العيد

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يخرج إلى العيدين ماشيًا، ويصلي بغير أذان ولا إقامة، ثم يرجع ماشيًا في طريق آخر" (صحيح الجامع).

تحذيرٌ نبوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له".

(صحيح الجامع).



الحلقة (٨٥)

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية (النمص)

الحلقة الأولى

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

مما دعاني إلى الكتابة في «موضوع النمص» هو ما قيل وكتب حول النمص من بعض طلبة العلم، وكذلك ما نقل من فتاوى حول هذا الأمر.

ونحن نريد أن ننظر في هذه المسألة نظرة متأملة بعيدًا عن العاطفة أو تسفيه رأي أحد، وسيكون البحث في عناصر، بإذن الله.

أولاً: أحاديث النمص:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله». قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهو في كتاب الله.

فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي فانظري. قال: فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها. (متفق عليه والرواية لمسلم).

وفي رواية للحديث:.. أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود، فقالت: أنبئت أنك تنهى عن الواصلة؟.... وفيه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء.... (مسند أحمد ح٣٩٤٥، قال الأرناؤوط: إسناده قوي، وقال الألباني: صحيح، انظر: غاية المرام ح٩٣).

وفي رواية:... فرأى (ابن مسعود) جبينها (أم يعقوب) يبرق، فقال: أتحلقينه؟ فغضبت، وقالت: التي تحلق جبينها امرأتك.... (قال الألباني: سنده حسن، حجاب المرأة المسلمة ص٩٨).

وفي رواية... أن امرأة أتت عبدالله بن مسعود، فقالت: إني امرأة زعراء أيصلح أن أصل في شعري؟ فقال: لا». (سنن النسائي ح٥٠٩٨، قال الألباني: صحيح).

وأخرج أبو داود بسنده عن ابن عباس قال: «لعنت الواصلة والمستوصلة، والنامصة

والمتنمصة، والواشمة، والمستوشمة، من غير داء».

قال أبو داود: وتفسير الواصلة: التي تصل الشعر بشعر النساء، والمستوصلة: المعمول بها، والنامصة: التي تنقش الحاجب حتى ترقه، والمتنمصة: المعمول بها، والواشمة: التي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد، والمستوشمة: المعمول بها (قال الألباني: صحيح).

وأخرج أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواشمة، والواصلة، والمتواصلة، والنامصة، والمتنمصة (ح٢٦٢٠٦..).

وهذا سند ضعيف لأن به مجهولة، لكن متنه صحيح يشهد له ما صح من أحاديث أخرى.

وفي السنن الكبرى للبيهقي (ح١٤٨٣٤) نقل عن الفراء: النامصة التي تنتف الشعر من الوجه، ومنه قيل للمنقاش المنماص لأنه ينتف به.

وعن عائشة رضي الله عنها: عن امرأة ابن أبي الصقر أنها كانت عند عائشة، فسألتها امرأة؟ فقالت: يا أم المؤمنين، إن في وجهي شعرات أفأنتفهن أتزين بذلك لزوجي؟ فقالت عائشة: أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة... (مصنف عبد الرازق ح٥١٠٤)، قال الألباني: ضعيف: غاية المرام ح٩٦.

قلت: فيه امرأة ابن أبي الصقر مجهولة، لم أقف على ترجمة لها، وعند الطبري أخرجه من رواية امرأة أبي إسحاق، وهي العالية بنت أيفع، قال الدارقطني عنها: مجهولة لا يحتج بها. (سنن الدارقطني ٤٧٧/٣)، وكذلك قال ابن حزم في المحلى: «لا يدري أحد من الناس من هي» (المحلى ٢٢٤/١).

وابن عبد البر قال عنها: مجهولة (التمهيد ٢٠/١٨)، وذكرها ابن حبان في الثقات ترجمة ٤٤٨٦.

ومن المعلوم عند أهل العلم تساهل ابن حبان في توثيق المجاهيل.

وقال عنها ابن التركماني: العالية معروفة، روى عنها ابنها وزوجها وهما إماما (الجوهر النقي ٣٣٠/٥).

وأيضًا هذا لا يعني توثيقها؛ لأن رواية الثقة عن مجهول لا تعني تعديله، يقول ابن كثير بعد أن ذكر أقوالاً ثلاثة في رواية الثقة عن شيخ، والصحيح أنه لا يكون توثيقًا له، حتى ولو كان ينص على عدالة شيوخه، ولو قال حدثني الثقة لا يكون ذلك توثيقًا له على الصحيح، لأنه قد يكون ثقة عنده، لا عند غيره (الباعث الحثيث ص٩٦).

ثانيا: معنى النمص:

لغة: رقة الشعر حتى تراه كالزغب، تتنمص: أي تأمر نامصة فتنمص شعر وجهها نمصًا، أي تأخذه عنها بخيط فتنتفه (انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٠هـ، ١٣٨/٧، وتهذيب اللغة للأزهري ت٣٧٠هـ ١٤٩/١٢، لسان العرب لابن منظور ت٧١١هـ ١٠١/٧).

والنمص: نتف الشعر. قال الراجز:

يا ليتها قد لبست وصواصًا
ونمصت حاجبها تنماصًا

ذكر ابن السكيت (توفي ٢٤٤هـ): أن هذا أنشدته امرأة في بنتها تنماصًا: نتفًا (كتاب الألفاظ، وهو أقدم معجم في المعاني لابن السكيت ص٤٩٣) (الوصواص: هو ما يغطى به الوجه كالبرقع ونحوه، والمنماص: المنقاش) (انظر تاج اللغة، أبو نصر الفارابي ت٣٩٣هـ، ١٠٦٠/٣).

وتنمصت المرأة: أخذت شعر جبينها بخيط (انظر المحكم لابن سيده ت٤٥٨هـ، ٣٤٥/٨) تاج العروس للزبيدي ت ١٢٠٥هـ، ١٩١/١٨).

النمص: ترقيق الحواجب للتحسين (مجمع بحار الأنوار للكجراتي ت٩٨٦هـ، ٧٨٧/٤).

فخلاصة ما ذكر في كتب أهل اللغة عن النمص:

١- نتف الشعر من الوجه بخيط أو ملقاط.
٢- نتف الشعر من الجبين بخيط أو ملقاط.
٣- ترقيق الحواجب للتحسين.
٤- نتف الحواجب، كما ذكر ابن السكيت في أقدم معجم في المعاني.

ثالثا: النمص: عند فقهاء المذاهب الأربعة:

الفقه الحنفي:

وفي تبيين المحارم: إزالة الشعر من الوجه حرام إلا إذا نبت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالته، بل تستحب. وفي التتارخانية من المضمرات: ولا بأس بأخذ الحاجبين وشعر الوجه ما لم يشبه المخنث، ومثله في المجتبى (رد المحتار، ابن عابدين ٣٧٣/٦).

والنامصة هي التي تنقص الحاجب لتزينه (انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ٨٨/٦).

وهي التي تنتف الشعر من الوجه (الدر المختار شرح تنوير الأبصار للحصفكي ٦٥٦/١).

الفقه المالكي:

وقال عياض: روي عن عائشة رخصة في جواز النمص وحف المرأة جبينها لزوجها، وقالت: «أميطي عنك الأذى» (التاج والإكليل لمختصر خليل ٢٨٧/١).

النامصة: هي التي تنتف الشعر من الوجه (الذخيرة للقرافي ٣١٤/١٣، التاج والإكليل لمختصر خليل ٢٨٧/١).

النامصة: هي التي تزيل بعض شعر الحاجب (الفواكه الدواني ٣١٤/٢).

وأما النساء فيجب عليهن إزالة ما في إزالته جمال لها، ولو شعر اللحية، إن كان لها لحية، وإبقاء ما في بقائه جمال (الفواكه الدواني، لأبي زيد القيرواني ٣٠٦/٢).

الفقه الشافعي:

فأما النامصة والمتنمصة: فهي التي تأخذ الشعر من حول الحاجبين وأعالي الجبهة، والنهي في هذا كله على معنى النهي في الواصلة والمستوصلة. (الحاوي الكبير للمزني ٢٥٧/٢).

هي التي تنتف الشعر من وجهها وترقق حاجبيها. (البيان في مذهب الإمام الشافعي للعمراني ٩٥/٢)، وتحسين وجه المرأة يكون بتنتيفه من الشعر النابت في غير أماكنه، فيستحب إزالته عند الحنفية، وإذا أمرها الزوج بإزالته وجب عليها ذلك عند الشافعية. (انظر حاشية ابن عابدين ٢٣٩/٥ وحاشية القليوبي ٢٥٢/٣ نقلا عن الموسوعة الفقهية ٢١٥/١٠).

الفقه الحنبلي:

النامصة: هي التي تنتف الشعر من الوجه.. وإن حلق الشعر فلا بأس، لأن الخبر إنما ورد في النتف، نص على هذا أحمد. (انظر المغني ٧٠/١، الشرح الكبير لابن قدامة ١٠٧/١).

قال ابن قدامة: وأما حف الوجه، فقال مهنا: سألت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) عن الحف؟ فقال: ليس به بأس للنساء وأكرهه للرجال (المغني ٦٨/١).

(الحف: إزالة الشعر بالموس، وقيل تحتف المرأة: تأمر من يحف شعر وجهها نتفًا بخيطين (انظر لسان العرب ٥٠/٩، وكتاب العين ٣٠/٣).

رابعًا: فقه الأحاديث:

الحديث العمدة في هذا الباب (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله...) رواه ابن مسعود وابن عباس،

وعائشة رضي الله عنهم.

وفي رواية لحديث ابن مسعود - ذكرناها- أن سبب إنكار أم يعقوب، هو نهي ابن مسعود عن وصل الشعر، عندما أتته فقالت: أنبئت أنك تنهى عن الواصلة، وفي رواية أنها قالت: إني امرأة زعراء (قليلة الشعر)، أيصلح أن أصل في شعري؟ فقال: لا.

وهذه الروايات تبين لنا أن سبب إنكار أم يعقوب على ابن مسعود كان بسبب شعرها، وليس بسبب النمص، لكن لما ذهبت إلى ابن مسعود رضي الله عنه - كما في رواية ذكرناها- رأى جبينها يبرق فقال: أتحلقينه، فغضبت، وقالت: التي تحلق جبينها امرأتك. قال: فادخلي عليها، فإن كانت تفعله فهي مني بريئة، فانطلقت، ثم جاءت فقالت: لا والله ما رأيتها تفعله، فالذي أغضبها هو إنكار ابن مسعود حلق جبينها، فالقول أن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر عليها نمص حاجبيها، يحتاج إلى دليل، وإلا فيبقى على الاحتمال؛ لأن الحاجبين جزء من الجبين، ثم هو عبر بالحلق وليس بالنمص (أي: النتف)، وإن كان من الممكن التعبير بالحلق عن النمص هنا بقرينة أنه رضي الله عنه في إنكاره عليها ذكر لعن النامصة، (وهذا يؤيده ما ذكرناه من كتب اللغة أن الحف يُستخدم على معنيين: الحلق بالموسى، والنتف بالخيط) أو يكون ابن مسعود رضي الله يرى أن الحلق كالنمص سواء.

خامسًا: هل النمص يشمل إزالة الشعر من الوجه بكامله أم الحاجبين فقط؟

يقول الإمام النووي: «النامصة: هي التي تزيل الشعر من الوجه... وهذا الفعل حرام إلا إذا نبت للمرأة لحية وشوارب، فلا تحرم إزالته بل يستحب عندنا» (شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨٨/٦).

وعلق الحافظ ابن حجر على كلام النووي، فقال: وإطلاقه (إزالة شعر الوجه) مقيد بإذن الزوج وعلمه، وإلا فمتى خلا عن ذلك مُنع للتدليس.

وقال بعض الحنابلة: «إن كان النمص أشهر شعارًا للفواجر امتنع، وإلا فيكون تنزيهًا، وفي رواية يجوز بإذن الزوج إلا إن وقع به تدليس فيحرم» (فتح الباري ٣٨٧/١٠).

وقال ابن حزم: «والنمص هو نتف الشعر من الوجه، فكل من فعلت ذلك في نفسها أو في غيرها فملعونات من الله عز وجل». (المحلى ٣٩٨/٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «ويقال: إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، قال أبو داود في السنن: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه، ثم ذكر فيه حديث ابن مسعود (سبق ذكره) (فتح الباري ٣٧٧/١٠). ومنع الطبري إزالة أي شعر في وجه المرأة، ورأى أن ذلك من جملة النهي عن النمص، فقال: لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما تتوهم البلج أو عكسه، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو عنفقة أو لحية أو شارب فتزيلها بالنتف... فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى. قال: ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك. (فتح البارى ٣٧٧/١٠).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

تأملات في الأخلاق والشمائل النبوية



إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. أما بعد:

فإن حاجة الأمة إلى معرفة سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، والاقتباس من مشكاة النبوة، فوق كل حاجة، بل إن ضرورتها إلى ذاك فوق كل ضرورة، فكل من يرجو الله واليوم الآخر، يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم قدوته، والمصطفى صلى الله عليه وسلم أسوته، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

وأهل الإيمان الحق يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، فبهديه صلى الله عليه وسلم يهتدون، وعلى سنته يسيرون. كيف لا؟ وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة المثالية في كل أحواله البشرية الخالصة، وحسبه صلى الله عليه وسلم شهادة الله له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

فيرى في رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق هذه الآية في شأنه كله، في مسجده وبيته، في سلمه وحربه، في أصحابه وأهله، في أوليائه وأعدائه، في صبره وحلمه، في قوته وشدته، في رقته وتواضعه، إلى غير ذلك مما أفاء الله عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وجميل الفضائل.

ومن المؤكد أن كل آية نزلت في وصف خلق من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أو بأمر تربوي أخلاقي أو غيره ما نزلت إلا والمقصود بها أولًا هم المسلمون، سواءً أكانوا من الصحابة أم كانوا ممن خلفهم، ومهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذها ليكون هو القدوة الماثلة أمامهم، فلا يعسر عليهم فهمها، ولا يشق عليهم امتثالها، وهذه هي المزية للتربية الإسلامية.

لنمض مع القرآن في شوطه الأخلاقي التربوي وهو يشكل للأمة منهجًا متكاملا في التربية، أصلها القرآن، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فنقرأ في الحلم والعفو

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)، فنحس لو أن جبالاً من الإساءة اجتمعت وتمحضت للسقوط على الرسول صلى الله عليه وسلم لتحطمت أجزاؤها ولما عُثر لها على أثر إلا ما يتحدث به الناس عنها بمثل الحلم الذي ملأ نفسه صلى الله عليه وسلم، وقد لقي الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير الكثير من بعض الأعراب ومن المنافقين والمشركين فما رئي صلى الله عليه وسلم إلا والحلم يملأ في صدره يرسل الكلمات الندية على لسانه فتكون بلسما يذهب كل أذى يقصد به قائله أو فاعله النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقلب عليه كسيرًا من ندى حلمه صلى الله عليه وسلم ما يبعث السكينة والحب في قلب مؤذيه، ويكون الصحابة من حواليه يرون ويسمعون، فيمضون بها امتثالاً وتحقيقًا، عن أنس بن مالك قال كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (متفق عليه).

وهكذا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه العفو واقعًا عمليًا.

ونقرأ في الحياء

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، فنقرأ في حروفها الحياء ماثلاً أمام أعيننا شاخصًا متحركًا متلفعًا برداء من الصمت البليغ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى وَابْنُ مَهْدِيٍّ قَالَا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ مِثْلَهُ، وإذا كره شيئًا عُرِفَ فِي وجهه. (متفق عليه).

فنأخذ الحياء خلقًا رفيعًا من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، كأنما سمعناه ورأيناه في آن واحد، نأخذ منه كما أخذ أصحابه صلى الله عليه وسلم.

ونقرأ في كرمه صلى الله عليه وسلم

عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا. (متفق عليه).

وعن أنس عن أبيه قَالَ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ! أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ. (مسلم: ٢٣١٢).

ونقرأ في تواضعه صلى الله عليه وسلم:

عن عُمَرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. (البخاري: ٣٤٤٥).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدمُ فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر». (صحيح الجامع: ١٤٦٨).

ومع هذه الخصائص والميزات التي سما بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره من أولي العزم من الرسل- فضلاً عمن سواهم- أضاف إلى ذلك ما يبرئ ساحته من الفخر- وحاشاه من كل نقص- فقال: «ولا فخر».

ونقرأ في إيثاره صلى الله عليه وسلم:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتَاهَا قَالَ سَهْلٌ: وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ. قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي فَجِئْتُ بِهَا لِأَكْسُوكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا وَإِنَّهَا لَإِزَارُهُ، فَجَسَّهَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ رَجُلٌ سَمَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْبُرْدَةَ، اكْسُنِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا دَخَلَ طَوَاهَا، وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: وَاللَّهِ مَا أَحْسَنْتَ! كَسِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ

عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ يَوْمَ مَاتَ. (أحمد: ٢٢٨٧٦).

ونقرأ في زهده صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا. (متفق عليه).

ونقرأ في رفقه صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ. (متفق عليه).

ونقرأ في شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَالْجَنَادِبُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي. (مسلم: ٢٢٨٥).

ونقرأ في عدله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. (متفق عليه).

ونقرأ في علاقته مع أهله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن نفسه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي. (صحيح الجامع: ٣٣١٤).

فكان صلى الله عليه وسلم جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويُضاحك نساءه، وكان مع ذلك يصبر على ما يراه منهن مما لا يسره.

ونقرأ في صبره على فراق فلذة كبده وثمرة فؤاده صلى الله عليه وسلم: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك من ذريته وراءه إلا ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقد أدرك الموت كل بناته وبنيه، فذاق في صبر الأنبياء الجميل مرارة فقدهم، وبكاهم واحدا تلو الآخر، وما زاد صلى الله عليه وسلم حين مات ولده إبراهيم على قوله: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون». (البخاري: ١٣٥/٣).

ونقرأ في بكائه صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» قَالَ: حَسْبُكَ الْآنَ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. (متفق عليه).

وقد أراد الله سبحانه أن يرسل نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات لتتربى الأمة على الكمال الأخلاقي الذي اشتملت عليه في هذه الصفات، فيكون لها من صفاء نيتها حظ تتلاقى به في حياتها، فتسودها الرأفة والرحمة، فتكون كما وصف الله نبيه وأصحابه، وإن تباعدت بها الأزمان وتناءت بين أفرادها الديار، وذلك قوله سبحانه: « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » (الفتح: ٢٩)، فإذا هي أمة ليست واحدة في دينها وعقيدتها فحسب، بل أيضا في صفاتها الربانية التي قبستها من نبيها صلى الله عليه وسلم فتنشرها بين الأمم قاطبة، وتبشر بها الأجيال القادمة، فتنعطف إليها بإيمان وتسليم لما رأت منها.

إننا بحاجة إلى تجديد المسار، وتصحيح المواقف، ومدارسة السيرة ما يزيد الايمان، ويعلو بالأخلاق، ويقوم المسيرة.

اللهم إنا نسألك مرافقة نبيك صلى الله عليه وسلم في الجنة.

تحذير الأولياء من المغالاة في تجهيز النساء

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم،

أما بعد:

فقد كان الزواج في الريف المصري بسيطًا سهلاً ميسورًا، إلا قلة من الناس تشدد في متطلباتها على الأزواج، وبمرور الوقت ونتيجة للبعد عن الله، فقد زاد التشديد في أمور الزواج، ولم يعد قاصرًا على ما يطلبه أهل المرأة، من المتقدم لها، بل شدد أهل المرأة على أنفسهم في تجهيز بناتهم، واشتعلت المنافسة بين أولياء النساء، حتى وصلت إلى الغلو والسفه، وشراء ما يلزم، وما لا يلزم، حتى أسرفوا وبذروا متغافلين عن قوله تعالى: «وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» (الإسراء ٢٦ - ٢٧).

وهذه المقالة محاولة سريعة لإلقاء الضوء على هذه الظاهرة السيئة التي عمت بها البلوى في الريف المصري، لمعالجتها وفق ضوابط الشرع.

الوقفة الأولى: أصل المشكلة، وسببها:

تكمن المشكلة في البعد عن الله - عز وجل-، وعن تعاليم نبيه صلى الله عليه وسلم، التي تنهى عن نظر المسلم لمن فضل عليه في الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلى مَن أسفلَ منكم. ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم. فهو أجدرُ أن لا تزدروا نعمة اللهِ» (رواه مسلم).

قال النووي - رحمه الله - في « شرح مسلم «: «معنى (أجدر) أحق، و(تزدروا) تحقروا.

قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود في غالب الناس. وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع، وفعل فيه الخير» اهـ.

فقد نظر الفقير إلى الغني في تجهيزه لابنته، وحاول أن يجاريه في هذا التجهيز بمقولة: «ابنته ليست أفضل من ابنتي» وترتب على مخالفة هذا الهدى المبارك، الوقوع في المخالفة الثانية لهديه صلى الله عليه وسلم، والتي رواها المسور بن مخرمة رضي الله عنه،

أنه قال: «والله ما الفقرَ أخشى عليكم. ولكني أخشى عليكم أن تُبسطَ الدنيا عليكم كما بُسطتْ على من كان قبلكم. فتنافَسوها كما تنافَسوها. وتُهلكَكم كما أهلكتْهم». وفي روايةٍ: وتُلهيكم كما ألهَتهم» (رواها مسلم).

فتنافس أولياء أمور النساء في التجهيز، ولم يسلم من ذلك غني ولا فقير، ليذكروا عند الناس بأفضلية جهاز بنتهم على من سواها.

ومن ذلك أيضاً تغليب العادة والعرف على الشرع فإذا حدثت الفقير في هذا الشأن وأنه يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم قال لك: هذا هو العرف السائد بيننا.

الوقفة الثانية: بعض صور الإسراف في التجهيز:

قد لا يتخيل القارئ الكريم حجم المشكلة، وضخامتها، إلا إذا وقف على بعض صورها، ولك أن تدرك أخي الكريم أن تجهيز الفتيات في الريف المصري قد تخطى حاجز المائة وخمسين ألف جنيه.

وهذه أمثلة لما وقعوا فيه من الإسراف والتبذير:

١- في مجال فرش الغرف:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: إن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال له: «فراشٌ للرجلِ. وفَراشٌ لامرأته. والثالثُ للضَّيفِ. والرابعُ للشيطانِ» (رواه مسلمٌ).

قال النووي - رحمه الله - في «شرح مسلم»: «قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان؛ لأنه يرتضيه، ويوسوس به، ويحسنه، ويساعد عليه.

وقيل: إنه على ظاهره، وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، كما أنه يحصل له المبيت بالبيت الذي لا يذكر الله تعالى صاحبه عند دخوله عشاء.» اهـ.

فتجد المنافسة في شراء أطقم الفراش، فمنهم من يشترى أكثر من مائة طقم، وأكثر من عشرين بطانية، وعشرات الألحفة، مع أن غالبية البيوت لا يزيد بها الفراش عن ثلاثة!!

٢- في مجال الأجهزة الكهربائية:

أ- شراء غسالات: فول أتوماتيك، وعادية، وأطفال، وأطباق.

ب - شراء اثنين شاشة تليفزيون على الأقل، وربما في كل غرفة من غرف البيت.

ج - اشتراطهم وجود جهاز للكمبيوتر في التجهيز، ثم تطور الأمر إلى جهاز لاب توب، ثم الآي باد والتابلت حتى ولو كان الزوجان لا يقرآن.

٣- في مجال مستلزمات الحمام:

أ- شراء أكثر من ستين فوطة.

ب - شراء عشرات الأنواع من الصابون، والشامبو، بكميات مبالغ فيها.

٤- في مجال ثياب المرأة:

قيام البعض بشراء أكثر من مائة عباءة خروج للمرأة، وعشرات الأحذية.

٥- في مجال السيارات الناقلة للجهاز:

تأجير أكبر عدد ممكن من سيارات النقل يوضع بكل سيارة قطع صغيرة من العفش، مع إمكانية حمله في سيارة واحدة أو اثنين على الأكثر، وإنما الرغبة في المباهاة أمام أهل القرية.

٦- في مجال المأكولات:

وجوب إحضار الزوجة لكثير من الطيور لبيت حماتها ليلة الدخلة، واشتراط عددها وأنواعها، فيشترطون عددًا من البط والأوز، والدجاج، والرومي، وهكذا.

الوقفة الثالثة: الحكم الشرعي للمسألة:

قيام أولياء الأمور بشراء ما يلزم بناتهم مما تدعو إليه حاجتهن، لا حرج فيه، وإن نووا شراءه بنية إعانتهم على العفة، وتكوين الأسرة المسلمة التي تقوم على شرع الله، أثيبوا على نيتهم، أما إن قاموا بشراء ما لا حاجه لهم فيه، أو ما زاد على الحاجة، فقد وقعوا في الإسراف والتبذير المقوتين المحرمين، قال ابن عابدين- رحمه الله - في «حاشيته»: «التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف، والتحقيق أن بينهما فرقاً، وهو أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على

ما ينبغي، والتبذير: صرف الشيء فيما لا ينبغي». ا.هـ.

والإسراف والتبذير من مساوئ الأخلاق التي تعود على صاحبها وعلى المجتمع والأمة بالكثير من الأضرار فإن الله عز وجل قد نهى عباده عنه فقال: «يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ» (الأعراف: ٣١). وقال: «وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا» (الإسراء ٢٦-٢٧)، وقال تعالى ممتدحا أهل الوسطية في النفقة الذين لا يبخلون ولا يسرفون: «وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا» (الفرقان: ٦٧).

وقال البخاري - رحمه الله - في كتاب اللباس: (باب قول الله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»، وقال ابن عباس: «كُلْ ما شئت والبسْ ما شئت ما أخطأتك اثنتان؛ سرف أو مخيلة»).

الوقفة الرابعة: الآثار السلبية المترتبة عليها:

ونتيجة لهذه السلوكيات الخاطئة، ولتنافس الفقراء مع الأغنياء على الدنيا الحقيرة، شق الله عليهم، فترى كثيرًا من الأسر تستدين لتأتي لبناتها بما سبق ذكره، ثم يعجزون عن الوفاء، لأصحاب المحلات بأموالهم، فتكون النتيجة الطبيعية، امتلاء السجون بأولياء أمور وأمهات كثير من النساء، كما قد يلجأ بعض غير القادرين - ممن لا يخشون الله - إلى الطرق غير المشروعة - مثل الرشوة والاستيلاء والاختلاس للمال العام، أو السرقة - لاكتساب المال لتجهيز بناتهم، فضلاً عن اشتمال فعلهم على الآثار السلبية الآتية:

١- عدم محبة الله لهم:

قال تعالى: «إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأنعام: ١٤١).

٢- مشاركة الشيطان في حياتهم:

فالذي يسرف ويبذر معرض لمشاركة الشيطان في مسكنه، ومطعمه، ومشربه، وفراشه، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان».

٣- كونهم من إخوان الشياطين:

قال تعالى: «وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا» (الإسراء: ٢٦-٢٧).

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»: (لأنَّ الشيطان لا يدعو إلا إلى كلِّ خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار «وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا» «الفرقان: ٦٧»).

٤- محاسبتهم على فعلهم في الآخرة:

فعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٥- إسرافهم وتبذيرهم عاقبته وخيمة:

قال ابن الجوزي رحمه الله في «صيد الخاطر»: «العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا؛ اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم. وإن كان غنيًا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة، ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك-إن أكثر- لإصابته بالعين... وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير حفظ المال،

والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره» اهـ.

٦- إضاعة المال:

فإن المرأة لا يمكن لها بحال من الأحوال أن تستخدم كل ما جاء لها طيلة حياتها، وتكون النتيجة الطبيعية، احتفاظها بكثير مما اشتراه لها أهلها دون استخدام فترة طويلة من الزمن، حتى يهلك وتنتهي منفعته، فتضطر المسكينة إلى إلقائه، وعدم الاحتفاظ به.

الوقفة الخامسة: جهاز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم:

كان زواج عليّ من فاطمة رضي الله عنهما زواجاً سهلاً مُيَسراً مباركاً، لزوجين لا تعرف الدنيا لقلبهما طريقاً، وأما جهاز وأثاث زواجهما فكان: قطيفة، وقِرْبَة، ووسادة من جلد حشوها ليف أو نبات، فعن علي رضي الله عنه قال: «جهَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل (قطيفة)، وقِرْبة، ووسادة أدم (جلد) حشوها إذخر (نبات رائحته طيبة» (رواه أحمد وصححه أحمد شاكر).

وفي رواية ابن حبان: «وأمَرهم أنْ يُجهِّزوها فجعَل لها سريرًا مُشرَّطًا بالشَّرطِ ووِسادةً مِن أدَمٍ حَشْوُها ليفٌ».

لقد كانت فاطمة رضي الله عنها تعلم أنها بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، ومع ذلك رضيت بالقليل، ولم تطمع في متاع الحياة الدنيا، ولم تطمح نفسها إلى العيش الراغد، بل ضُرب بها المثل في زواجها اليسير المهر، القليل المؤنة..

ولم تكن حياتها في بيت زوجها مُترفة ولا ناعمة بل كانت أقرب إلى التقشف والخشونة؛ لأن علياً رضي الله عنه-على عظم مكانته - لم يكن صاحب حظ من مال، ومن ثَم فقد عاشت رضوان الله عليها في بيتها حياة بسيطة متواضعة، فهي تطحن وتعجن خبزها بيديها مع إدارة كافة شؤون بيتها الأخرى، إضافة إلى حقوق زوجها عليها، وحين تعبت من عمل البيت وأثَّر عمل الرَّحَى في يديها، طلبت من أبيها صلى الله عليه وسلم خادماً يساعدها، فأرشدها النبي صلى الله عليه وسلم لما هو أفضل لها، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ فاطمة أتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً، وشكتِ العمل، فقال صلى الله عليه وسلم: (ما ألفَيتِيه عندنا) قال: (ألا أدُلُّك على ما هو خيرٌ لك من خادم؟ تسبِّحين ثلاثاً وثلاثين، وتحمَدين ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّرين أربعاً وثلاثين حين تأخذين مضجعَك».

قال ابن حجر - رحمه الله- في « فتح الباري »: «قال القرطبي: إنما أحالها على الذكر ليكون عوضاً عن الدعاء عند الحاجة، أو لكونه أحب لابنته ما أحب لنفسه من إيثار الفقر، وتحمل شدته بالصبر عليه تعظيماً لأجرها». اهـ

الوقفة السادسة: الحلول المقترحة لمعالجتها:

ولحل هذه النازلة التي ألمت بكثير من الأسر الفقيرة قبل الغنية فنرى الحلول الآتية:

أولاً: شعور كل مسلم بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه - لاسيما مع الحالة الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد- وألا ينجر وراء تلك المنافسة المذمومة، وليمتثل قوله صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا» (رواه البخاري) وليعلم أن «خير النكاح أيسره» (رواه ابن حبان. وصححه الألباني).

ثانيًا: الاقتصار على ما هو لازم وضروري في الزواج؛ شريطة ألا يكون هناك إسراف أو تبذير في شرائه.

ثالثًا: نشر الوعي بين أولياء الأمور، بحرمة الإسراف والتبذير، وما يترتب عليهما من آثار مدمرة.

رابعًا: العمل على إنشاء صندوق للزواج في الريف المصري، وغيره، يعمل على مساعدة الأسر الفقيرة على زواج بناتها.

الوقفة السابعة: نداء إلى طلبة العلم الشرعي:

وهذا نداء ورجاء لطلبة العلم الشرعي لنشر هذه المقالة في أماكنهم لتعم بها الفائدة، ولعل الله أن يفتح بها الآذان والقلوب، ويكتب لها القبول، فتكون سببا في وقف الآثار السلبية لهذه الظاهرة.

والله الموفق.

نظرات في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

تعرّف على شهر ذي الحجة

إعداد / جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي فضَّل بعض مخلوقاته على بعض لحكم كثيرة وأسرار، وجعل الأزمنة مواقيت لأداء عبادته بفعل الأوامر واجتناب المحرَّم والضار.

والصلاة والسلام على سيد الأخيار والأبرار، وآله وصحبه والتابعين، ما تعاقب الليل والنهار، وبعد:

فإن من أعظم الأسباب المعينة على أداء العبادات على الوجه اللائق بها معرفة فضل زمانها بعد معرفة واجباتها وأركانها، ومعرفة ثواب تلك العبادة وأجرها.

أي شهر هذا؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ. قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ. (رواه البخاري: ١٦٥٤).

سبب تسميته بذي الحجة:

قال علم الدين السخاوي رحمه الله تعالى: الحِجَّة بكسر الحاء، قلتُ: وبفتحها، سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه. (تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧).

فضل شهر ذي الحجة:

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع يوم النحر: «ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا، وأحرم البلاد بلدكم هذا»، وهذا كله يدل على أن شهر ذي الحجة أفضل الأشهر الحرُم، حيث كان أعظمها حرمة، وروي عن الحسن: أن أفضلها المحرم». (فتح الباري لابن رجب: ١٢٢/٦)، باب فضل العمل في أيام التشريق).

ورجح ذلك أيضا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بقوله: «هذا الشهر هو أفضل الأشهر الثلاثة الحرم، لأنه يُعمل فيه من الأعمال الصالحة ما لا يعمل في غيره». (فتاوى اللقاء الشهري ٣٣١/١).

إذن فشهر ذي الحجة أحد الأشهر الحرم، ثم إن أغلب أعمال الحج تقع فيه، ثم هناك فضل للعشر الأول منه على سبيل الإجمال، وبعض أيام العشر على سبيل الخصوص، وكذا أيام التشريق، فأما العشر الأول منه فقد بين الله تعالى فضلها في كتابه الكريم، وأقسم فقال: «وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ» (الفجر: ١ - ٢)، والله تعالى لا يقسم إلا بما هو عظيم عنده.

وقد أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الليالي العشر التي أقسم الله بهن هن الليالي الأول من ذي الحجة». (تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤).

وهي من جملة الأربعين ليلة التي واعدها الله عز وجل لموسى عليه السلام في قوله تعالى: «وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (الأعراف:١٤٢)، أخرج الطبري بسنده عن مجاهد قال: ذو القعدة، وعشر ذي الحجة، قال ابن جريج: قال ابن عباس مثله. (تفسير الطبري ١٠/٤١٥).

وهي: العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من العمل في غيرها من الأيام؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد؛ إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». (البخاري: ١٦٩).

وفي هذه الأيام يوم عرفة.

سبب تسميته عرفة:

قال ابن مفلح رحمه الله تعالى: «قيل: سمي بذلك للوقوف بعرفة فيه، وقيل: لأن جبريل حج بإبراهيم عليهما السلام. فلما أتى عرفة قال: قد عرفت؟ قال: قد عرفتُ. وقيل: لتعارف آدم وحواء بها». (الفروع: ٥/٨٧).

وفي تفسير البغوي (١/١٨٤) ذكر أقوالاً في سبب تسميته بعرفة، فكان مما قال: وقيل: سمي بذلك؛ لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل: سمي بذلك من العَرْف: وهو الطيب.

فضل يوم عرفة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة». (الترمذي وحسنه الألباني).

وقال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبلها والسنة التي بعده». (مسلم: ١١٦٢).

قال العلامة ابن باز رحمه الله في معنى: «وشاهد ومشهود»: للعلماء في هذا كلام كثير، وأحسن ما قيل فيه: إن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، يشهده الناس (الحُجاج)، وقيل غير ذلك، لكن هذا أحسن ما قيل. (فتاوى ابن باز).

ثم إن يوم عرفة يوم عيد، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب». (أبو داود: ٢٤١٩).

جاء رجل من اليهود لعمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين، لو علينا نزلت هذه الآية: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣) لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة. (رواه البخاري).

فائدة: والفارق بين اتخاذ اليهود الأعياد وبين أعياد المسلمين أن اليهود يتخذون أعيادًا من اختراعهم، لكن أهل الإسلام يُعيدون بما جعله الله لهم عيدًا، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِيَوْمَيْنِ خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النَّحْرِ». وذلك لما قدم المدينة ووجدهم يُعَيِّدُون بأعياد من أهوائهم، فاليهود أهل اختراع، والمسلمون أهل اتباع.

فضل يوم النحر

ويوم النحر هو اليوم العاشر من ذي الحجة، وسبب تسميته بيوم النحر؛ لنحر الأضاحي منه، ويسمى كذلك بيوم الأضحى.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وسمي بيوم النحر تغليبًا لما هو أكبر وأفضل وهي الإبل وإلا ففيه نحر وذبح».

ومقصد الشيخ أنه لا يمكن أن يقال نحر الغنم، وإنما ذبح الغنم ونحر الإبل، ولأن الإبل التي قال الله فيها: «وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (الحج:٣٦).

قال صلى الله عليه وسلم: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر، ثم يوم القر». (أبو داود: ح١٧٦٥).

والمقصود بيوم القر هو يوم استقرار الحجاج في منى وهو يوم الحادي عشر من ذي الحجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة باتفاق العلماء، وأفضل أيام العام هو يوم النحر، وقد قال بعضهم: يوم عرفة، والأول هو الصحيح، لما جاء في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أفضل الأيام

عند الله يوم النحر ثم يوم القر».

وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم «يوم الحج الأكبر» في إشارة إلى قول الله تعالى: «وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ» (التوبة:٣)، فقال صلى الله عليه وسلم: «أي يوم هذا؟ قالوا يوم النحر، قال: هذا يوم الحج الأكبر». (أبو داود: ١٩٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعيد النحر أفضل من عيد الفطر، ولهذا كانت العبادة فيه النحر مع الصلاة، والعبادة في ذاك الصدقة مع الصلاة، والنحر أفضل من الصدقة لأنه يجتمع فيه العبادتان البدنية والمالية، فالذبح عبادة بدنية مالية، والصدقة والهدية عبادة مالية، ولأن الصدقة في الفطر تابعة للصوم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، ولهذا سُن أن تخرج قبل الصلاة، كما قال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ» (الأعلى:١٥). وأما النسك فإنه مشروع في اليوم نفسه عبادة مستقلة، ولهذا يشرع بعد الصلاة، كما قال الله تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ» (الكوثر: ٢- ٣). (مجموع الفتاوى: ٢٢٢/٢٥).

ومما يحتويه ذلك الشهر العظيم- شهر ذو الحجة- أيام التشريق، وهي الأيام الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر التي تلي يوم النحر، وسميت بذلك لأنهم كانوا يشرقون اللحم وهو تقديده: «أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة». وهو اللحم المجفف الذي شرَّقوه أي نشروه في الشمس.

وقيل: سميت بذلك لأنها أيام تضحية (ذبح)، فكانوا لا يذبحون حتى تشرق الشمس.

فضل أيام التشريق:

قال صلى الله عليه وسلم: «أيام التشريق أيام أكل وشرب». وفي رواية: «وذكر لله». (مسلم: ١١٤١)، والحديث دليل على فضل أيام التشريق، وهي من الأيام الفاضلة والمواسم العظيمة، وهي الأيام المعدودات المذكورة في قوله تعالى: «وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ» (البقرة:٢٠٣)، ولا خلاف في ذلك كما نقله غير واحد، وهذه الأيام أيام ذكر لله تعالى، وذلك بالتكبير عقب الصلوات وفي كل الأوقات والأحوال الصالحة لذكر الله تعالى، ولا مانع من التوسع في الأكل والشرب ولا سيما اللحم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفها بأنها أيام أكل وشرب، ما لم يصل ذلك إلى حد الإسراف والتبذير، أو التهاون بنعم الله تعالى فعلى المسلم أن يحذر الغفلة عن ذكر الله تعالى، فيكون قد أخذ أول الحديث وترك أخره، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يوم عرفة، يوم النحر، وأيام التشريق، عيدنا أهل الإسلام». (الترمذي: ٧٧٣، وقال: حديث صحيح حسن).

ولا يجوز صيام أيام التشريق مطلقًا، لا للحاج ولا لغيره، فلا يصوم يوم الاثنين ولا الخميس إذا كان منها، ولا الثالث عشر إذا كان يصوم أيام البيض، ويستثنى من ذلك المتمتع الذي لم يجد الهدي، لقول عائشة رضي الله عنها: «لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي». (البخاري: ١٨٩٤).

وهل يؤخر بعض أعمال الحج إلى نهاية شهر ذي الحجة؟

والجواب: قال الله تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ» (البقرة:١٩٧)، وقد اختلف أهل التأويل في ذلك. فقيل: إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله، يريدون بذلك، وأن أشهر العمرة سواهن من شهور السنة، وقيل: يعني بالأشهر المعلومات شوالاً وذا القعدة وعشرًا من ذي الحجة.

وقد صوَّب الطبري ذلك القول؛ لأن ذلك من الله خبرٌ من ميقات الحج، ولا عمل للحج يعمل بعد انقضاء أيام منى. (الموسوعة الفقهية: ٥١/٥).

قال الشيخ سيد سابق في «فقه السنة» (٦٥١/١): وثمرة الخلاف تظهر، فيما وقع من أعمال الحج بعد النحر، فمن قال: إن ذا الحجة

كلـه من الوقـت، قـال: لم يلزمـه دم التأخير. ومن قال: ليس إلا العشر منه قال: يلزمه دم التأخير.

النص الكامل لخطبة الوداع:

قـال الشيخ الغـزالي رحمـه الله تعالـى في فقه السيرة (ص٤٥٣): ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الألوف المؤلفة وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله، فشـرح صدره انقيادها للحـق، واهتداؤها إلى الإسلام وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهليـة من مخلفات في النفوس، وتؤكد مـا يحرص الإسلام على إشاعتـه من آداب وعلائق وأحكام. فألقى هذه الخطبة الجامعة:

أيهـا الناس اسمعوا قولي، فـإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبدا.

أيهـا النـاس: إن دماءكـم وأموالكـم وأعراضكـم عليكـم حرام إلـى أن تلقـوا ربكم، كحرمـة يومكم هـذا، وكحرمة شهركم هـذا. وإنكـم ستلقون ربكم فيسألكـم عـن أعمالكـم وقـد بلغت.. فمـن كانت عنده أمانة فليؤدهـا إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربـا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تُظلمـون. قضى الله أنه لا ربـا، وإن ربا العباس بـن عبـد المطلب موضـوع كلـه. وإن كل دم كان في الجاهليـة موضوع، وإن أول دمائكـم أضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب. وكان مسترضعا في بني ليـث فقتلتـه هذيل. فهـو أول ما أبدأ بـه من دماء الجاهلية.

أمـا بعـد. أيها النـاس، إن الشيطـان قـد يئس أن يعبـد في أرضكـم هـذه أبـدا، ولكنـه إن يُطع فيمـا سوى ذلـك فقد رضـي بـه، مما تحقـرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم!! أيها الناس: «إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ» (التوبة: ٣٧).

وإن الزمـان قـد استـدار كهيئتـه يـوم خلق الله السمـوات والأرض، وإن عـدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعـد أيها الناس: فإن لكم علـى نسائكم حقا، ولهـن عليكم حقا لكـم عليهن ألا يوطئـن فرشكم أحدًا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة. فـإن فعلن، فـإن الله قـد أذن لكـم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصـوا بالنسـاء خيرا، فإنهـن عندكم عوان لا يملكـن لأنفسهن شيئـا. وإنكم إنمـا أخذتموهن بأمانـة الله، واستحللتـم فروجهـن بكلمـة الله، فاعقلـوا أيهـا الناس قولي فـإني قد بلغـت.. وقد تركـت فيكم مـا إن اعتصمتم به، فلـن تضلوا أبدا، أمرا بينـا، كتاب الله وسنة نبيه..

أيهـا النـاس: اسمعوا قـولي واعقلـوه؛ تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلـم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا مـا أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟

قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد.

(قـال الشيخ الألبـاني: جاء سندهـا في أحاديث متفرقة، وقسم كبير منها رواه مسلم).

شهادة غير المسلمين لخطبة الوداع:

يقـول هربرت جورج ولز (١٨٦٦-١٩٤٦م) الكاتب والأديب البريطاني المعروف: «حج محمد صلى الله عليه وسلم حجة الـوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاتـه بعام، وعنـد ذاك ألقى علـى شعبه موعظة عظيمة..

إن أول فقرة فيها: «إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم»، تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات ودماء، والفقرة الأخيرة منها (كل مسلـم أخ للمسلم) تجعل الزنجي المؤمن عِدْلاً للخليفـة، إنهـا أسَّست في العالم تقاليـد عظيمة للتعامـل العادل الكريم، وإنها لتنفـخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنهـا إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يملأ الدنيا مـن قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها.

نسأل الله القبول وحسن الخاتمة.

قصة بدء خلق الجراد

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩٤)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة، وحتى لا يتجرأ من لا دراية له بالصناعة الحديثية من منكري السنة، خاصة في هذه الأيام، فيتخذ هذه القصة تشكيكًا في السنة بحجة وجودها في كتب السنة الأصلية، ووجودها في كتب التفاسير المشهورة، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوي عن جابر، وأنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال: «اللهم أهلك كباره، واقتل صغاره، وأفسد بيضه، واقطع دابره، وخذ بأفواهها عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء». فقال رجل: يا رسول الله، كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره، قال: «إن الجراد نثرة الحوت في البحر». اهـ.

قلت: لكي تتبين لنا حقيقة هذا المتن فلا بد من معرفة غريب ألفاظ الحديث الذي جاءت به قصة «بدء خلق الجراد».

ومن أهم ما جاء في المتن من غريب الحديث: «نثرة الحوت».

قال الإمام ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» باب «النون مع الثاء» (ص٩٠٠): «وفي حديث ابن عباس: «الجراد نثرة الحوت» أي: عطسته». اهـ.

وأقره العلامة ابن منظور المتوفى سنة (٧١١هـ) في كتابه «لسان العرب» (١٩١/٥) فقال: «وفي حديث ابن عباس: «الجراد نثرة الحوت» أي: عطسته». اهـ.

قلتُ: وهذا الموقوف عن ابن عباس باطلٌ؛ أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦/٥) (ح٨٨٦٨) قال: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا يعلى، حدثنا سفيان، عن أبي خالد، عن ابن عباس قال: «الجراد نثرة من حوت في البحر». قلت: وآفته أبو خالد وهو عمرو بن خالد، كوفي تحول إلى واسط، قال أحمد بن حنبل: كذاب، وقال الدارقطني: كذاب، وقال يحيى: كذاب غير ثقة، كذا نقله عنهم الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٣٥٩/٢٥٧/٣).

ثانيًا: تخريج حديث جابر وأنس المرفوع:

١- هذا الحديث الذي جاءت به قصة «بدء خلق الجراد» أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧-٢٧٥هـ) في «السنن» (١٠٧٣/٢) (ح٣٢٢١) قال: حدثنا هارون بن عبد الله الجمّال، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زياد بن عبد الله بن علاثة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جابر وأنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد، قال: اللهم اهلك كباره.. الحديث.

٢- وأورد هذا الحديث الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٢٣٣/٤) الآية (الأعراف: ١٣٣)، وعزاه لابن ماجه فقال: «روى ابن ماجه عن جابر وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال: اللهم أهلك كباره...».

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة التي جاء بها هذا الخبر واهية والخبر لا يصح، وعلته موسى بن محمد بن إبراهيم.

١- في «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» (١٥٨-٢٣٣هـ) (٨٩٣): «قال يحيى وأنا أسمع: موسى بن محمد بن

إبراهيم: ليس حديثه بشيء». اهـ.
٢- قال الإمام البخاري (١٩٤- ٢٥٦) في «الضعفاء الصغير» (٣٤٧): «موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي في حديثه مناكير». اهـ.
٣- وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٩٥/١/٤): «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حديثه مناكير». اهـ.
٤- قال الإمام ابن أبي حاتم (٢٤٠- ٣٢٧هـ) في «الجرح والتعديل» (١٥٩/١/٤): «سألت أبي (١٩٥- ٢٧٧) عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي فقال: ضعيف الحديث منكر الحديث». اهـ.
٥- وقال ابن أبي حاتم: «سئل أبو زرعة (٢٠٠- ٢٦٤هـ) عن موسى بن محمد بن إبراهيم فقال: منكر الحديث». اهـ.
٦- قال الإمام النسائي (٢١٥- ٣٠٣هـ) في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥٥٦): «موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي: منكر الحديث». اهـ.
٧- قال الإمام العقيلي المتوفى سنة (٣٢٢هـ) في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٧٤٢/١٦٩/٤): «موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه، عن أنس، مديني، لا يُتابع على حديثه، ولا يُعرف إلا به». اهـ.
ثم قال الإمام العقيلي: حدثني آدم، قال: سمعت البخاري قال: «موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه، عن أنس؛ منكر الحديث». اهـ.
قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه حيث يفيد الضعف الشديد كما بين ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٦/١) فقال: «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.
لذلك قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.
قلت: وهذا ما بيَّنه الإمام الذهبي في «الميزان» فيما نقله ابن القطان، قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١١٣٠/١٤٠٧/٤): «ابن القطان هو الحافظ العلامة الناقد قاضي الجماعة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم الحميري الكتامي الفاسي الشهير بابن القطان، قال الأبار في ترجمته: كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدهم عناية بالرواية رأس طلبة العلم بمراكش، مات (٦٢٨هـ)». اهـ.
قلت: هذا هو الشهير بابن القطان كما بين ذلك الإمام الذهبي حتى لا يحدث عند البعض خلط بينه وبين الإمام يحيى بن سعيد القطان والذي أورده أيضًا الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢٨٠/٢٩٨/١) حيث قال: «يحيى بن سعيد بن فروخ الإمام العلم سيد الحفاظ أبو سعيد التميمي مولاهم البصري القطان ولد سنة (١٢٠هـ) ومات سنة (١٩٨هـ) قال ابن المديني: «ما رأيت أحدًا أعلم بالرجال منه». اهـ.
٨- المتفق والمفترق هذا النوع من علوم الحديث أورده الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص٥٥٢) النوع الرابع والخمسون وقال: «المتفق والمفترق: هذا النوع متفق لفظًا وخطًا، وقد زلق بسببه غير واحد من الأكابر. وهو أقسام:
الأول من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم كالخليل بن أحمد ستة أولهم شيخ سيبويه..». اهـ.
قلت: وبتطبيق هذا على علة هذا الخبر وهو (موسى بن محمد)، فلقد بين الإمام الذهبي في «الميزان» (٢١٨/٤) أن من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم ممَّن اسمه (موسى بن محمد) تسعة من ترجمة رقم (٨٩١٤) حتى رقم (٨٩٢٢).
ثم بالبحث وجدنا من بين هؤلاء التسعة من الرواة اثنين اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم وأسماء أجدادهم ممن اسمه (موسى بن محمد بن إبراهيم) فرَّق بينهم الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٧٤١/١٦٨/٤) قال: «موسى بن محمد بن إبراهيم المديني الهذلي، روى عنه الواقدي لا يتابع». اهـ.
ثم ذكر الثاني في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٧٤٢/١٦٩/٤) فقال: «موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه، عن أنس، مديني، لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به». اهـ.
قلت: وجه التفريق الأول: الهذلي، وروى عنه الواقدي التالف، والثاني: التيمي، وروى عن أبيه عن أنس.
والثاني: هو علة الخبر الذي جاءت به القصة وأقر هذا التفريق الذي بينه الحافظ العقيلي الإمام

الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٢٢٠/٨٩١٦)؛ وكذلك في «الميزان» (٤/٢١٨/٨٩١٤)، وهذا التفريق من الحافظ العقيلي وإقرار الحافظ الذهبي له لا يعرف قدره إلا أهل الصناعة الحديثية، فقد قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «الذهبي هو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال».

٩- ولقد بيّن الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٢١٨/٨٩١٤) حال التيمي الذي هو علة الخبر الذي جاءت به قصة «بدء خلق الجراد» فقال: موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني عن أبيه وغيره، ثم نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه والتي أوردناها آنفًا وأقرها ونقل عن الدارقطني قوله: «متروك». اهـ.

قلت: قال الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٠٦- ٣٨٥هـ) في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥١٨): «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه والزهري ومجاهد». اهـ.

قلت: يظن من لا دراية له بمناهج المحدثين من أئمة الجرح والتعديل أن الحافظ الدارقطني لم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً وذكر الاسم فقط وحدده.

ولكن بيّن منهج الحافظ الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» أخص تلاميذه وهو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني (٣٣٦- ٤٢٥هـ) قال في مقدمة «الضعفاء والمتروكين»: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: وهذا ينطبق تمام الانطباق على موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي حيث اثبته في كتاب «الضعفاء والمتروكين» (٥١٨)، وبهذا يكون متروكًا أجمع على تركه الأئمة الثلاثة الدارقطني وابن حمكان والبرقاني، قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/١٠٧٤/٩٨٠): «البرقاني الإمام الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين حدث عنه البيهقي والخطيب». اهـ.

قلت: وبهذا ثبت أن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي: متروك أيضًا.

١٠- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٤١): «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي من أهل المدينة، يروى عن أبيه ما ليس من حديثه فلست أدري أكان المعتمد لذلك، أو كان فيه غفلة فيأتي بالمناكير عن أبيه والمشاهير على التوهم وأيما كان فهو ساقط لا يحتج بحديثه». اهـ.

١١- قال الإمام الحافظ ابن عدي (٢٧٧- ٣٦٥هـ) في «الكامل» (٦/٣٤٢) (٢٠٠/١٨٢١): «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي مديني». اهـ.

أ- ثم أخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ليس بشيء، ولا يُكتب حديثه».

ب- وأخرج بسنده عن البخاري قال: «موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عنده مناكير». اهـ.

ج- وعن النسائي قال: موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي منكر الحديث. اهـ.

د- ثم أخرج بسنده أن موسى بن محمد بن إبراهيم: ينكر الأئمة أحاديثه. اهـ.

رابعًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: «ليس بشيء ولا يكتب حديثه، منكر الحديث، لا تحل الرواية عنه، متروك فيه غفلة يأتي بالمناكير عن أبيه والمشاهير وهو ساقط لا يحتج بحديثه».

قلت: وهو علة هذا الخبر الذي جاءت به قصة «بدء خلق الجراد». فالخبر لا يصح والقصة واهية.

لذلك أخرج الإمام ابن الجوزي الخبر الذي جاءت به هذه القصة بسنده حيث اجتمع مع الإمام ابن ماجه في شيخه هارون بن عبد الله حيث قال في «الموضوعات» (٣/١٤) أنبأنا أبو منصور القزاز، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، حدثنا عمر

بن محمد بن علي، حدثنا محمد بن علي الحفار، حدثنا هارون بن عبد الله به، ثم ذكر الحديث وقال: «هذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يحيى: موسى بن محمد ليس بشيء، ولا يُكتب حديثه، وقال النسائي: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك». اهـ.

قلت: هذه أقوال أئمة الجرح والتعديل التي نقلها الإمام ابن الجوزي، وقد خرجناها بالتفصيل آنفًا، وبها حكم ابن الجوزي بأن الحديث لا يصح، وأقره السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (٢٣٣/٢)، ولم يتعقبه بشيء إلا قوله: «قلت: أخرجه ابن ماجه». اهـ.

خامسًا: نقد المتن:

نبين في هذه المسألة الرد على فرية المستشرقين بأن المحدثين لم يعنوا بالنقد الداخلي، حيث إن من مزاعم المستشرق «شاخت» ما دعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن. اهـ.

قلت: إن هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم من الأحداث الذين لا دراية لهم بالصناعة الحديثية لم يعرفوا مناهج أئمة الجرح والتعديل في حكمهم على الرواة، ولقد ردَّ على هذه الفرية المحدث العلامة المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار الكاشفة» (ص٢٦٣)، فقال: «من تتبع كتب تواريخ رجال الحديث، وتراجمهم، وكتب العلل، وجد كثيرًا من الأحاديث يطلق الأئمة عليها: «حديث منكر»، أو «باطل»، أو «شبه موضوع» وكثيرًا ما يقولون في الراوي: «يحدث بالمناكير» أو يقولون: «صاحب مناكير»، أو «عنده مناكير» أو «منكر الحديث».

ولما كان الأئمة قد راعوا في توثيق الرواة النظر في أحاديثهم، والطعن فيمن جاء بمنكر، صار الغالب ألا يوجد حديث منكر إلا وفي سنده مجروح أو خلل، فلذلك: صاروا إذا استنكروا الحديث نظروا في سنده فوجدوا ما يبين وهنه فيذكرونه، وكثيرًا ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن، انظر موضوعات ابن الجوزي وتدبر، تجده: إنما يعمد إلى المتون التي يرى فيها ما ينكره، ولكنه قلما يصرح بذلك، بل يكتفي غالبًا بالطعن في السند، وكذلك كتب العلل، وما يعلل من الأحاديث في التراجم، تجد غالب ذلك مما ينكر متنه، ولكن الأئمة يستغنون عن بيان ذلك بقولهم: منكر، أو نحوه». اهـ.

سادسًا: تطبيق ذلك على خبر القصة:

ما ذكره المعلمي اليماني من أقوال أئمة الجرح والتعديل في نقدهم للمتون نجده ينطبق تمام الانطباق على موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، وهو علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة، فقد بينا آنفًا قول ابن معين: «ليس حديثه بشيء». وقول البخاري: «حديثه مناكير»، وقول أبي حاتم: «ضعيف منكر الحديث»، وقول أبو زرعة: «منكر الحديث»، وقول النسائي: «منكر الحديث»، وقول ابن حبان: «ساقط يأتي بالمناكير عن أبيه لا يحتج به»، وقال الدارقطني: «متروك». اهـ.

قلت: من أجل ذلك ذكر هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٩١٤/٢١٨/٤)، وجعله من مناكير موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» كما بينا آنفًا بما ينطبق مع ما قاله المعلمي اليماني: «انظر موضوعات ابن الجوزي وتدبر تجده إنما يعمد إلى المتون التي يرى فيها ما ينكره».

سابعًا: المتن يخالف العقل الصريح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٨٠/١٢): «إن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح». لقد بينا من بحثنا هذا «أن الجراد نثرة الحوت في البحر»، لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فالنقل غير صحيح، أما العقل الصريح المبني على العلم اليقيني المعروف بعلم السيتولوجي، وهو العلم الذي يبحث في دراسة الخلية التي هي وحدة التركيب في الكائنات الحية من حيوان ونبات، وبها يتميز كل كائن حي عن غيره، فذكور الجراد جعل الله الخلية من خلاياه الجسدية نواتها ذات (٢٣) كروموسوم، أما أنثى الجراد فنواة خليتها ذات (٢٤) كروموسوم، أما الحوت فنواة خلاياه ذكر أو أنثى تحتوي على (٤٢)، كروموسوم فمن المستحيل أن يلتقي الحوت مع الجراد، فسبحان «قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ» (طه:٥٠).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

إمام المذهب (أبو الحسن الأشعري)، وقوّام السنة (الإمام الأصبهاني): هما كذلك على التمسك بظواهر النصوص والتحذير من مخالفتها.. كونها - دون العقل - هي مصدر التلقي

الحلقة (٢٦)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلما عظمت البلية بحمل معاني النصوص على غير ظواهرها، وبإعمال العقول معها لا في فهمها، وبإقحام تلك العقول المخلوقة في صفات الخالق، بل وفي جُل ما كلف تعالى به عباده من أمور الاعتقاد وأحكام الشريعة لدرجة أفسدتهما على العامة والخاصة، اقتضى المقام أن نستزيد من عبارات الراسخين من أئمة العلم الأثبات، لبيان أن ما ذكرنا كان سبب كل بلاء حل بأمة الإسلام في الحاضر والماضي، علّ ما تحمله عباراتهم من معان تصب في احترام هذه النصوص وعدم تأويلها أو التلاعب بها أو انتهاك حرماتها، تكون نبراساً لأهل الحق وإقامة للحجة لمن جهل الهدى وابتغاه وإبراء للذمة لمن حاد عنه وقلاه..

فما أوتيت الأمة على مدار تاريخها العريض، إلا من قِبَل تفريطها في نصوص الوحي وفهم الصحابة ومن تبعهم لها، وتأويلها بحملها على غير ظواهرها، وصرفها عن معانيها وحقائقها الموضوعة لها في اصطلاح التخاطب، والتكلف في وضعها في غير موضعها، وتفسيرها على غير مرادها.

١- الإمام الأصبهاني، يكشف حقيقة أن التمسك بظواهر النصوص، هي سمة أهل السنة:

ونذكر فيما يخص (توحيد الصفات)، قول الحافظ أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني المعروف بـ (قوّام السنة)، في كتابه (الحجة في بيان المحجة) ١٩٤/٢ - بعد أن ذكر حديث البخاري (قال الله: كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني، وشتمني وما ينبغي له أن يشتمني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي ولداً، وأنا الله الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته) - قال: "في الحديث دليل على أن.. تكذيب الله هو جحود ما قاله، وشتمه أن يصفه بما لا يليق به، فالساكت في هذا الباب أقرب إلى السلامة والمتكلم فيه بغير علم أقرب إلى المقت والملامة".

إلى أن قال: "قال أهل السنة: نصف الله بما وصف به نفسه، ونؤمن بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع، مع تحقيقنا أن صفاته لا يشبهها صفات وذاته لا يشبهها ذات، وقد نفى الله عن نفسه التشبيه بقوله: (ليس كمثله شيء)، فمن شبه الله بخلقه كفر، وأثبت لنفسه صفات فقال: (وهو السميع البصير.. الشورى/١١)، وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه، كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه".

وفي رد زاعمي أنهم أهل سنة ممن ليسوا من أهلها، يقول بنفس المصدر ٢٣٧/٢ وما بعدها - نقلاً عن أبي المظفر السمعاني في كتابه (الانتصار لأصحاب الحديث) -: "زعم كل فريق - من المبتدعة ومنهم بالطبع الأشاعرة كونهم تأولوا آي وأحاديث الصفات وصرفوها عن ظواهرها - أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق

الذي قام به رسول الله هو الذي يعتقده وينتحله، غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله، وأخذه أصحاب رسول الله عنه، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قِبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردُّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم".. إلى أن قال: "أهل الحق جعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبَلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني: (ما حدّثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما وإلا رددته في نحرها).

ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!..

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، فلا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً.. تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.. الحشر/١٤).. وإنما كان السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظة أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بيِّنٌ والحمد لله".

وبعد أن ميَّز وضرب الأمثلة بما ساغ من خلاف بين أهل السنة وما لم يسغ بما يمنع الفرقة، قال الأصبهاني في معرض رده على من لم يحتج بخبر الآحاد ولا أوجب به العلم اليقيني: "صاحب السنة لا يألوا أن يتبع من السنن أقواها ومن الشهود عليها أعدلها وأتقاها، وصاحب الهوى كالغريق يتعلق بكل عود ضعيف أو قوي ولا يتَّبعُ إلا ما يهوى وإن كان عند العلماء أوهاها، وكل ذي حرفة وصناعة موسوم بصناعته، معروف بآلته"..

ثم جعل ينقل عن بعض أهل العلم رده على الذين تلاعب بهم الشيطان وادعوا أن العقل يهديهم إلى الصواب، ويقول: "وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسنة، وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور لتقوية باطلهم وتقريبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحق وبان الصدق، فلا تلتفت إلى ما أسسوه ولا تبال بما زخرفوه والزَم نص الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات، تقف على الصراط المستقيم"..

ثم أشاد الأصبهاني بصنيع عثمان الدارمي في: عقده باباً في توقير الأحاديث أن تُعارض بشيء من المقاييس أو تُنفى بتأويل القرآن..

وساق في ذلك حديث: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، وأثر يحيى بن أبي كثير وفيه: (القرآن أصول محكمة مجملة لا تفسِّر السنة، والسنة تفسرها وتبيِّن معانيها وكيف يأتي الناس بها.. ثم راح يعقد بنفس المصدر ٢/٤٠٤ فصلاً في (التمسك بالسنة)، وآخر في (اجتناب البدع والأهواء)، وآخر

في (التحذير من رد حديث رسول الله والقول بخلافه)، وفي (الحض على اتباع الصحابة بعد الكتاب والسنة)، ويذكر ضمن هذا، قول بعض العلماء: (الأصول التي ضل بها الفرق، سبعة أصول:

القول في ذات الله، والقول في صفاته، والقول في أفعاله، والقول في الوعيد، والقول في الإيمان يعني بعدم إدخال العمل في مسماه، والقول في القرآن، والقول في الإمامة.. فأهل التشبيه ضلت في ذات الله، والجهمية ضلت في صفاته، والقدرية ضلت في أفعاله، والخوارج ضلت في الوعيد، والمرجئة ضلت في الإيمان، والمعتزلة ضلت في القرآن، والرافضة ضلت في الإمامة.. وأهل السنة هي الفرقة الناجية المتمسكة بدين الله الذي نزل به كتابه وبينته سنة رسوله).. ووالله إنه لأثر يحتاج من أهل التجرد لعمل دءوب ورسائل في (التخصص) و(الدكتوراه) تكشف عمن سقط في بعض هذا ممن يزعمون من المتكلمة وخوارج العصر والمرجئة أنهم على السنة، وما هم منها في شيء، وتكشف عن حقيقة هذا الذي عمت به البلوى مما لا بادرة أمل في إصلاحه أو العدول عنه، إلا أن يشاء الله رب العالمين.

هذا، ومما قاله صاحب (الحجة) ٥٠٢/٢: "جميع آيات الصفات التي في القرآن والأخبار الصحاح التي نقلها أهل الحديث، واجب على جميع المسلمين أن يؤمنوا ويسلموا بها، ويتركوا السؤال فيها وعنها لأن السؤال عن غوامضها بدعة، وذلك.. مثل: (النفس واليدين والاستحياء والدنو والتجلي والوجه والقدَم والقهر والمكر)، وغير ذلك مما ذكر الله من صفاته في كتابه وما ذكره الرسول في أخباره"..

وكان الأصبهاني قد نقل بنفس الصفحة عن بعض علماء السنة قوله: "حرام على كل أحد أن يصفه تعالى إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله في أخباره الصحيحة عند أهل النقل والسلف المشهورين بالسنة المعروفين بالصدق والعدالة".. ثم قال بعد أن عدَّ الكثير منها: "فعلى العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف ويُمرُّه على ما أمروه.. يقبل ما قبلوه ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية، هذا مذهب أهل السنة، وما وراء ذلك بدعة وفتنة".

ثم جعل ينقل عن الهروي قوله: "نؤمن بصفاته تعالى كما وصف نفسه في كتابه المنزل وبما ثبت عن رسول الله بنقل العدول والأسانيد المتصلة، ونطلقها بألفاظها كما أطلقها، وتنعقد عليها ضمائرنا بصدق وإخلاص أنها كما قال صلى الله عليه وسلم، ولا نفسرها تفسير أهل التكييف والتشبيه ولا نضرب لها المثال، بل نتلقاها بحسن القبول تصديقاً ونطلق ألفاظها تصريحاً"..

إلى أن قال ٥٤٩/٢: "وأهل السنة يطلقون ما أطلق الله في كتابه وما أطلقه رسوله في سنته من غير تكييف ولا تشبيه، ولا ينفون صفاته كما نفت الجهمية.. ولا يعارضون سنة النبي بالمعقول، لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل، لأن العقل، هو: ما يؤدي إلى قبول السنة، فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل".

والحق أن الكتاب كله دعوة لجعل المرجعية ومصدر التلقي ظواهر النصوص، وهو واحد من كتب التراث التي يجب على الأزهر أن يقررها ويعض عليها - ومعها كتب الأشعري (الإبانة) و(رسالة أهل الثغر) و(مقالات الإسلاميين) - بالنواجذ، إن كان بحق يريد إصلاحاً وتجديداً للخطاب الديني، إذ الخير كل الخير في الاتباع والشر كل الشر في الابتداع.

٢- والأشعري أيضاً في باب الصفات وغيره: على ما عليه أهل السنة من التمسك بالنصوص والأخذ بظواهرها:

وقد سبق أن ذكرنا في الحلقات القليلة الماضية، عبارات أبي الحسن الموافقة لما أجمع عليه جماعة أهل السنة في عدِّ الوحي دون العقل مصدراً للتلقي، كون الأخير عاجزاً عن معرفة ما لله من صفات، ولم يفته - رحمه الله - أن يصرح بوجوب حمل نصوص الصفات على ظواهرها، وقد بدا هذا واضحاً عند ردِّه الرأي القائل بأن المقصود من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٣): ثواب ربها، فبين في الإبانة ص ٥٦ أن "ثواب الله: غيره"، وأن "القرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نُزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره".

يقول في علة ذلك: "ألا ترى أن الله لما قال: صلوا لي واعبدوني - يعني في قوله: (فاعبدني وأقم الصلاة لذكري .. طه/١٤) - لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويُزيل الكلام عن ظاهره، فكذلك لما قال: (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)، لم يَجز لنا أن نُزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة"، ويؤكد الأشعري هذا المبدأ عند مناقشته لرأي الخصوم في قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار .. الأنعام/١٠٣).

ثم هو في تناوله لقول بعضهم عن إثبات (أيدي) مجتمعة لله، يبين وجوب الرجوع إلى إثبات (يدين)، معللاً ذلك في الإبانة ص ٩٣: بـ "أن الدليل قد دل على صحة الإجماع - يعني: على بطلان أن لله (أيدي) - وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يُرجع من قوله: (أيدي) إلى (يدين)، لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجةً أزلنا بها ذكر (الأيدي) عن الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها إلا بحجة".

ويتمسك الأشعري بنفس الأصل عند مناقشته نحو قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم)، فقولهم بأن الله أراد يداً واحدة، فأوضح أن الله قد "ذكر (أيدي) وأراد (يدين)، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال (أيدي كثيرة)، وقول من قال (يداً واحدة)"، يقول مؤكداً نفي أي تأويل لصفة اليد: "وقلنا: (يدان)، لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر".

كما لم يفته أن ينبه على وجوب التمسك دائماً وعند كل شيء بالآية والحديث، ونص على ذلك في مقدمة كتابه الإبانة.. إلى أن قال: "ديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وبسنة نبينا محمد وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون" ا.هـ.

٣- وعلى درب الصحابة ومن تبعهم في التمسك بظواهر النصوص، كان شيخ الإسلام وتلميذه:

وعن حال الصحابة في تلقيهم الوحي مع تسليمهم بظاهره يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣/٢٥١، ٢٥٢: "لم يكن أحد منهم - صحابة النبي - يعتقد في خبره وأمره ما يناقض ظاهر ما بيّنه لهم ودلهم عليه وأرشدهم إليه، ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به من أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت"..

وفي تفاصيل ما قيل في إجراء نصوص الصفات على ظاهرها أو العكس، ذكر في الحموية ص ٦٦ - وبنحوه في التدمرية - أن هناك من الطوائف من "يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء: (المشبهة)، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وهناك من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه"، ثم يقول عمن يصرفون من الأشاعرة النصوص عن ظواهرها، أو يفوضون علمها إلى الله ظناً منهم أن هذا هو معتقد السلف: "وأما الذين يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة، فهؤلاء أيضاً قسمان: قسم يتأولونها مثل قولهم: (استوى بمعنى: استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر)، وقسم يقولون: (الله أعلم بما أراد الله بها)"، ومقصوده: أن هؤلاء وأولئك على خلاف ما كان عليه السلف.

وعلى طريقة شيخ الإسلام في بيان ووجوب اعتقاد مذهب السلف، سار تلميذه ابن القيم فكان مما قاله في الصواعق: "صرح الناس قديماً وحديثاً بأن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره، قال الشافعي: (وكلام رسول الله على ظاهره).

وقال صاحب المحصل: (لا يجوز أن يعني الله بكلامه غير ظاهره)، وعلى هذا فنقول: (إذا كان ظاهر كلام الله ورسوله والأصل فيه الحقيقة، لم يجز أن يُحمل على مجازه وخلاف ظاهره البتة، فإن المجاز لو صح كان خلاف الأصل والظاهر، ولا يجوز الشهادة على الله ولا على رسوله أنه أراد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقته، ولا في موضع واحد البتة، بل كل موضع ظهر فيه المراد بذلك التركيب فهو ظاهره وحقيقته، لا ظاهر له غيره ولا حقيقة له سواه".. على أن جميع ما ذكرنا يُعدُّ قليلاً من كثير مما فاه به أئمتنا، وإلا فكتبهم وعباراتهم في ترسيخ توحيد الصفات في النفوس على الوجه الصحيح بإثباتها جميعاً وحملها على ظاهرها دون ما تفرقة، أكثر من أن تحصى..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

التعصب وأثره السيئ في ماضي الأمة وحاضرها

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف



الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظلم، وبعد:

فما يزال الحديث مستمرًا عن سبل علاج التعصب، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعًا: تربية الأجيال على الأنصاف بالإنصاف:

وَهُوَ مَطْلَبٌ عَزِيزٌ، فَإِنَّ مَنْ فَقَدَهُ فَقَدْ فَقَدَ، وَمَنْ لَزِمَهُ وَجَدَّ وَجَدَ، والإِنْصَافُ أَنْ لا يَجْحَدَ المَرْءُ مَا لِغَيْرِهِ مِنْ فَضْلٍ مُوَافِقًا كَانَ أَوْ مُخَالِفًا، مُعَادِيًا كَانَ أَوْ مُوَالِفًا.

أَمَّا العَصَبِيَّةُ فَهِيَ جُحُودُ الفَضَائِلِ وَإِنْكَارُ الشَّمَائِلِ، وَبِهَا تُعْقَدُ أَلْوِيَةُ الفِتْنَةِ، وَتُطْلَقُ أَعِنَّةُ المِحْنَةِ.

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً ××× بَيْنَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ

فَيُصبِحُ غيرُ المُنْصِفِ خَصْمًا لِإِخْوَانِهِ، وَعَيْبَةَ افْتِرَاءٍ عَلَيْهِمْ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ (طه: ٦١).

وَالعَجَبُ أَنَّكَ إِذَا نَصَحْتَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ قَرْطَمَ الكَلَامَ، وجعله جُذَاذًا، وصارَ يَهْذِي كَالمَحْمُومِ وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ.

وَقَدْ شَكَى مِثْلَ ذَلِكَ الإِمَامُ الأَدِيبُ النَّقَّادُ ابنُ قُتَيْبَةَ بِنَحْوِ قَوْلِهِ:

قد كنا زمانًا نعتذر عن الجهل فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم، وَكُنَّا نُؤَمِّلُ شُكْرَ النَّاسِ بِالتنبيه وَالدِّلَالَةِ فَصِرْنَا نَرْضَى مِنْهُمْ بالسلامة، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال وتغير الزمان، وفي الله خلف وهو المستعان.اهـ

إن تربية الجيل على الإنصاف وترك العصبية والحمية لنفسه أو لشيخه أو مذهبه أو نحو ذلك لن تصبح فاعلة فينا وقاضية على هذه الآفات وما فيها من فاحش الأوابد وسيئ العوائد وكثرة العجائب وانتشار الغرائب التي اجتمعت في زماننا وكأنها ادخرت لأهله حتى (يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو

على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به.

فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يَسْوَدُّ وَجْهُ أحدِهِمْ إذا اتضح الحق على لسان خصمه؟ وكيف يخجل به؟ وكيف يجهد في مجاحدته بأقصى قدرته؟ وكيف يذم من أفحمه طول عمره؟ ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق) (إحياء علوم الدين: ١/ ٤٤).

إنَّ ما نَزَل بنا منْ شدَّة الفَواقر وبأس البَواقر وعُقْم العَواقر وكثرة العَجائب وانتشار الغرائب التي اجتمعت في زماننا وكأنَّها ادُّخرت لأهْله إنَّما كانَ بسببِ عدم غرْسِ الإنصافِ في نُفوس النَّاشئة والشَّبيبَة.

ولن تصح هذه التربية ولن تؤتي أكلها إلا إذا اتصف بها المشتغلون بالعلم أولاً ثم اقتدى بهم أتباعهم ومن بعدهم.

وقد كان هذا دأب الأئمة الأربعة وغيرهم من كبار علمائنا كما تقدم في حكاية أقوالهم الداعية إلى ترك العصبية والتقليد.

إن العالم إذا تعصب فقد غيرُه القدوةَ فيه، ونفرَ عامةُ الناسِ وصدوا عن دعوته فلا يكون ممَّن نفع الله به المسلمين ولا يكون ممَّن حافظ على وقته وانتفع به في ذات نفسه حتى يرجع منها بخفي حنين ويكون كالمُنْبَت الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، ونعوذ بالله من الخذلان.

قال أبو حامد الغزالي: «التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه.

ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لا نجحوا فيه.

ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة. (إحياء علوم الدين:١/ ٤٠).

إنَّ كَلامَ المُتَعَصِّبِ لا يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ لِفَقْدِ الإِنْصَافِ، فَتَرَاهُ يَسْتَوْلِدُ الخِلافَ، وَيَسْتَنْبِتُ النِّزَاعَ بِغَيْرِ دَاعٍ، وَيَبْذُرُ بُذُورَ العَدَاوَةِ، وَيَزْرَعُ شَوْكَ الخُصُومَاتِ، وَيَهْدرُ بِكَلامٍ مُهْدَرٍ بَدَلاً من استيلاد الوفاقِ، ونَشْرِ المُؤَالَفَةِ بينَ النَّاسِ، بِئْسَ للظَّالِمِينَ بَدَلاً.

وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّافِعِيِّ حِينَ قَالَ: «بِئْسَ الزَّادُ إِلَى المَعَادِ العُدْوَانُ عَلَى العِبَادِ» (السير: ١٠/ ٤٢).

وَمِنَ المَوَاقِفِ البَدِيعَةِ للمُحَدَّثِ المُلْهَمِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ نَفْسِه.

مَا رواه ابن أبي حاتم بسنده عن الشعبي قال: سَاوَمَ عُمَرُ رَجُلاً بِفَرَسٍ فَرَكِبَهُ لِيَشُورَهُ فَعَطِبَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: خُذْ فَرَسَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لا، قَالَ عُمَرُ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَكَمًا.

قال الرجل: شريح. فتحاكما إليه فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ بما ابتعت أو رد كما أخذت فقال عمر وهل القضاء إلا هذا؟ سر إلى الكوفة، فَبَعَثَهُ قَاضِيًا عَلَيْهَا، قال: وانه لأول يوم عَرَفَهُ فيه» (الجرح والتعديل: ٤/ ٣٣٢).

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ فُلَيْحٍ: «نَهَانِي مَالِكٌ عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ أَكْثَرَ عَنْهُمَا فِي (المُوَطَّأ)، وَهُمَا مِمَّنْ يُحْتَجُّ بِهِمَا، وَلَمْ يَنجُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ كَلامِ بَعْضِ النَّاسِ فِيهِم، نَحوَ مَا يُذكَرُ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ مِنْ كَلامه فِي الشَّعْبِيِّ، وَكَلامِ الشَّعْبِيِّ فِي عِكْرِمَةَ، وَفِيْمَنْ كَانَ قَبْلَهُم، وَتَنَاوُلِ بَعْضِهِم فِي العِرْضِ وَالنَّفْسِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ أَهْلُ العِلمِ فِي هَذَا النَّحوِ إِلاَّ بِبَيَانٍ وَحُجَّةٍ، وَلَمْ تَسْقُطْ عَدَالَتُهُم إِلاَّ بِبُرْهَانٍ ثَابِتٍ، وَحُجَّةٍ، وَالكَلاَمُ فِي هَذَا كَثِيْرٌ».

قُلْتُ (الذهبي): لَسْنَا نَدَّعِي فِي أَئِمَّةِ الجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ العِصْمَةَ مِنَ الغَلَطِ النَّادِرِ، وَلاَ مِنَ الكَلاَمِ بِنَفَسٍ حَادٍّ فِيْمَنْ بَيْنَهُم وَبَيْنَهُ شَحْنَاءُ وَإِحْنَةٌ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ كَثِيْراً مِنْ كَلاَمِ الأَقْرَانِ بَعْضِهِم فِي بَعْضٍ مُهْدَرٌ، لاَ عِبْرَةَ بِهِ، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا وَثَّقَ الرَّجُلَ جَمَاعَةٌ يَلُوحُ عَلَى قَوْلِهِمُ الإِنْصَافُ» اهـ (السير: ٧/ ٤٠).

وَقَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: كَلاَمُ الأَقْرَان بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو

لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصم الله.
وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس. (ميزان الاعتدال ١/١١١).
وَقَالَ السُّبْكِي: «وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَفَقَّدَ حَالُ الْعَقَائِد وَاخْتِلَافُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَارِحِ وَالْمَجْرُوحِ، فَرُبَّمَا خَالَفَ الْجَارِحُ الْمَجْرُوحَ فِي الْعَقِيدَةِ، فَجَرَحَهُ لِذَلِكَ.

خامسًا: غرس خلق الرجوع إلى الحق:

وهي سمة قليلة وخلق عزّ وجوده، من تمسك بها كثر من المنصفين شاكروه وقل منهم شاكوه.
ولا يعني هذا أنه لن يوجد من يعترض عليه، فهذا ما لا يكون

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى
ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربُهُ؟

لا سيما في زمان الانتقاض والامتعاض والتَّمَضْمُض بالاعتراض حتَّى قرضت أعراضٌ بقبيح أغراض ورُبَّما منْ أجل حفْنَة أعواض ولله الأمرُ منْ قبلُ ومنْ بعْدُ.
ولَمْ يزَلِ الأئمَّةُ يرجعُ بعضُهم عنْ قوْله إلى ما ظَهَرَ له رُجْحانُه ومَنْ نَظَر إلى تَراجُعات الحافظ الشهاب ابن حجر لأدرك قدرَ الإنصاف الّذي مُنحُوهُ ورُزقُوهُ.
ومن ذلك ما قاله الإمام ابن الصلاح:
وَهَذَا الْقِسْمُ جَمِيعُهُ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِه وَالْعِلْمُ الْيَقِينِيُّ النَّظَرِيُّ وَاقِعٌ بِه، خِلَافًا لِقَوْلِ مَنْ نَفَى ذَلِكَ، مُحْتَجًّا بِأَنَّهُ لَا يُفِيدُ فِي أَصْلِه إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنَّمَا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِالظَّنِّ، وَالظَّنُّ قَدْ يُخْطِئُ.
وَقَدْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى هَذَا وَأَحْسَبُهُ قَوِيًّا، ثُمَّ بَانَ لِي أَنَّ الْمَذْهَبَ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ أَوَّلًا هُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ ظَنَّ مَنْ هُوَ مَعْصُومٌ مِنَ الْخَطَأِ لَا يُخْطِئُ. وَالْأُمَّةُ فِي إِجْمَاعِهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الْخَطَأِ، وَلِهَذَا كَانَ الْإِجْمَاعُ الْمُنْبَنِي عَلَى الِاجْتِهَادِ حُجَّةً مَقْطُوعًا بِهَا، وَأَكْثَرُ إِجْمَاعَاتِ الْعُلَمَاءِ كَذَلِكَ. (مقدمة ابن الصلاح: النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنَ الْحَدِيثِ: ص ٢٨).
فانظر كيف لم يتحرج الإمام من الرجوع عما كان يميل إليه ويحسبه قويًّا إلى ما اختاره بعد ذلك؟!
خامسًا: إِدْرَاكُ قَدْرِ الْمَفْسَدَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ مِنَ التَّدَابُرِ وَالْقَطِيعَةِ وَالْبَغْضَاءِ.
بَلْ وَتَمَنِّي التَّلَفِ وَالْمَوْتِ لِلْمُخَالِفِ، وَلَا سِيَّمَا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمُتَدَيِّنِينَ.
فَقَاتَلَ اللَّهُ الْعَصَبِيَّةَ كَمْ عَادَتْ عَلَى صَاحِبِهَا كَلًّا، وَأَوْرَثَتْهُ ذُلًّا، وَأَصْبَحَتْ فِي رَقَبَتِه غُلًّا.
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَنْدَه: حَدَّثْتُ عَنِ الرَّبِيعِ، قَالَ:
رَأَيْتُ أَشْهَبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَاجِدًا يَقُولُ فِي سُجُودِه: اللَّهُمَّ أَمِتِ الشَّافِعِيَّ، لَا يَذْهَبُ عِلْمُ مَالِكٍ، فَبَلَغَ الشَّافِعِيَّ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ
وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ
لَئِنْ مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَيَّ بِمُخْلَدِ

السير: ١٠/٧٢.
وَقَارِنْ ذَلكَ بِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ:
مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى الْغَلَبَةِ، وَبِوُدِّي أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ تَعَلَّمُوا هَذَا الْكِتَابَ - يَعْنِي: كُتُبَهُ- عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ (السير ١٠/٧٦)
إِنَّ الْخِلَافَ بَيْنَ الْمُتَعَصِّبَةِ أَشَدُّ مِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ التُّيُوسِ- حِينَ تَغَارُ فِي زُرُبِهَا- حَذْفًا وَقَذْفًا، وَنَطْحًا وَرَفْسًا، ونعوذ بالله من مثل السَّوْءِ.
لِهَذَا تَجِدُ أَمْرَاضَ النُّفُوسِ بَيْنَهُمْ تُسَامِي الذُّبَابَ كَثْرَةً وَعَدَدًا؛ فَهُمْ بَيْنَ كَذَّابٍ وَشَغَّابٍ، وَقَتَّاتٍ وَبَهَّاتٍ، وَهَمَّازٍ وَلَمَّازٍ، وَنَمَّامٍ وَقَاذِفٍ وَبَاغٍ لِلْبُرَءَاءِ الْعَنَتَ، وَبَاعِثٍ لِرُفَاتِ الْخِلَافِ وَهُوَ رَمِيمٌ فِي قَائِمَةٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الرِّيَبِ وَالطَّرَائِقِ الْمَذْمُومَةِ؛ فَاللَّهُمَّ سَلِّمْنَا وَعَافِنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

سادسًا: هجر الخصومات.

وَالْعَمَلُ عَلَى بَعْثِ الْإِيلَافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا سِيَّمَا بين مَنْ يَخْدُمُونَ دِينَهُمْ.
وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَقْلِ وَكَمَالِه، فَإِنَّ الْخُصُومَاتِ تُورِثُ غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَتُوغِرُ الصُّدُورَ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ.
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ لِلْخُصُومَاتِ قُحَمًا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُهَا اهـ.
(الْقُحَمُ: هِيَ الْأُمُورُ الْعَظِيمَةُ الشَّاقَّةُ، واحدتها: قُحْمَةٌ، النهاية: ٤/١٩)
وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ حُضُورُ الشَّيْطَانِ فيه، (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قرينًا فساء قرينًا) النساء
وهذا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: إِيَّاكُم وَالْخُصُومَةَ فِي

الدِّيْنِ، فَإِنَّهَا تَشغَلُ القَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ. (السير: ٦/٢٦٤).

وقالَ حاتِمُ الأَصَمُّ: مَعِي ثَلاثُ خِصَالٍ، أُظْهِرُ بِهَا عَلَى خَصْمِي، قالُوا: مَا هِيَ؟ قالَ: أَفْرَحُ إِذَا أَصَابَ خَصْمِي، وَأَحْزَنُ إِذَا أَخْطَأَ، وَأَحْفَظُ نَفْسِي لا أَتَجَاهَلُ عَلَيْه، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا كَانَ أَعْقَلَهُ مِنْ رَجُلٍ (المُنْتَظم لابن الجوزي: ١١/٢٥٤)

ويرحم الله أَبَا يُوسُفَ إِذْ كَانَ يَقُولُ: العِلْمُ بِالخُصُومَةِ وَالكَلامِ جَهلٌ، وَالجَهْلُ بِالخُصُومَةِ وَالكَلامِ عِلْمٌ. قُلْتُ (الذهبي): مِثَالُهُ شُبَهٌ وَإِشْكَالاتٌ مِنْ نَتَائِجِ أَفْكَارِ أَهْلِ الكَلاَمِ، تُورِدُ فِي الجِدَالِ عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيْثِهَا، فَيُكَفِّرُ هَذَا هَذَا، وَيَنْشَأُ الاعْتِزَالُ، وَالتَّجَهُّمُ، وَالتَّجسِيْمُ، وَكُلُّ بَلاَءٍ- نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ - (السير: ٨/٥٣٩).

ثامنًا: إحداثُ الإيلافِ ونشرُ المودَّة.

وَذلك بِبَعْثِ رُوحِ التَّآلُفِ، وَعَدَمِ افْتِعَالِ الخِلافِ، وَنَبْذِ ثَلْبِ أَهْلِ العِلْمِ وَالفَضْلِ، وَتَرْكِ امْتِهَانِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الاخْتِلافَ وَيَرْفَعُ الوِفَاقَ وَيَقْطَعُ العِصَمَ وَيُحْدِثُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ وَهُمَا يُعْمِيَانِ وَيُصِمَّانِ كَمَا أَنَّ الهَوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ.

روى البخاري بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلاَفَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ » أَكْبَرُ عِلْمِي، قَالَ: « فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَأَهْلَكُوا ». قال ابن حجر: فيه الحَضُّ عَلَى الجَمَاعَةِ وَالأُلْفَةِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلاَفِ اهـ

قالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَتَعْلَمُونَ أَنَّ مِنَ القَوَاعِدِ العَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ جِمَاعِ الدِّينِ: تَأْلِيفَ القُلُوبِ وَاجْتِمَاعَ الكَلِمَةِ وَصَلاَحَ ذَاتِ البَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» وَيَقُولُ: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا» وَيَقُولُ: «وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ». وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْجَمَاعَةِ والائتلاف وَتَنْهَى عَنِ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلاَفِ.

وَأَهْلُ هَذَا الأَصْلِ: هُمْ أَهْلُ الجَمَاعَةِ كَمَا أَنَّ الخَارِجِينَ عَنْهُ هُمْ أَهْلُ الفُرْقَةِ. وَجِمَاعُ السُّنَّةِ: طَاعَةُ الرَّسُولِ.

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (إنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أُمُورَكُمْ).

وَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ - فَقِيهَيْ الصَّحَابَةِ- عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ. وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَاءَهُمْ).

وَقَوْلُهُ " لَا يُغِلُّ " أَيْ لَا يَحْقِدُ عَلَيْهِنَّ. فَلَا يُبْغِضُ هَذِهِ الْخِصَالَ قَلْبُ الْمُسْلِمِ بَلْ يُحِبُّهُنَّ وَيَرْضَاهُنَّ. اهـ (مجموع الفتاوى: ١٨/٥١ - ٥٢).

وهذا وإن كان شاقًّا في زماننا إلا أنه يسير على من يسره الله تعالى عليه.

وإذا كان شيخ الإسلام- وهو من هو- قد اشتكى غربة الزمان فكيف بنا؟!

قال ابن كثير: وَسَمِعْتُهُ كثيرًا مِنْ شَيْخِنَا العَلاَّمَةِ أَبِي العَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ- رَحِمَهُ اللَّهُ- يُنْشِدُ:

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ
عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

(البداية والنهاية: ١٥/١٨٤).

كتب العتَّابيُّ إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب:

إنَّ قرابتك من قرب منك خيره، وإنَّ ابنَ عمِّك من عمَّ نفعه، وإنَّ عشيرتك من أحسنَ معاشرتك، وإنَّ أحبَّ الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك، وإنَّ أهداهم إلى مودَّتك مَنْ أهدى إليكَ، ولذلك أقولُ:

ولقد بلوتُ الناسَ ثم سبرتُهم
وَوَصلتُ ما قطعُوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّبُ قاطعًا
وإذا المودَّةُ أقربُ الأنسابِ

(ديوان المعاني لأبي الهلال العسكري: ٢/٢٥٣).

والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

من فتاوى الأزهر الشريف واللجنة الدائمة للإفتاء

ترك طواف الوداع في الحج

السؤال: أدى مناسك الحج ولكنه نسي طواف الوداع ولما تذكره لم يتيسر له الطواف لشدة الزحام ولوجود زوجته وأولاده بعيداً عن بيت الله الحرام فلم يستطع تركهم والعودة لتأدية طواف الوداع. فما الحكم الشرعي؟

الجواب: قال الله سبحانه وتعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» البقرة ١٩٦، وقال صلى الله عليه وسلم (خذوا عني مناسككم) ومناسك الحج منها الأركان التي لا يصح الحج بدونها ومنها الواجبات والسنن وطواف الوداع بفتح الواو ويسمى طواف الصدر بفتحتين وطواف آخر عهد بالبيت وهو الطواف عند إرادة السفر من مكة وهو واجب عند الحنفية والشافعية والحنابلة لغير الحائض والمكي أي من هو مقيم بمكة فلا يجب على من كان داخلها ولا على الحائض ودليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال أمر الناس أن يكون أخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض. أخرجه الشيخان. ومن نسيه ولم يتمكن من أدائه لزمه دم سنها ستة أشهر على الأقل أن كان من الضأن وسنة إن كان من المعز ولا يختص ذبحه بزمان أو مكان فله أن يذبحه بأي زمان أو مكان شاء. بشرط ألا يكون المسئول عنه مقيما بمكة فإن كان مقيما بها فلا يجب عليه طواف الوداع وبالتالي فلا يجب عليه بتركة فداء. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المفتي الشيخ: عبد اللطيف حمزة).

لقطة الحرم

السؤال: أثناء وجودي في منى وجدت مبلغاً من النقود نحو ثلاثين ديناراً فأخذتها وقررت التصدق بها بعد عودتي لبلدي على أن أهب ثوابها لصاحبها فهل يجوز ذلك؟

الجواب: لقطة الحرم يحرم أخذها إلا لتعريفها فقد صح في الحديث «إن هذا البلد حرمه الله تعالى، لا يلتقط لقطته إلا من عرفها» وجاء أيضا «لا يرفع لقطتها إلا منشدها» أي المعرف بها، قال العلماء في بيان حكمة ذلك: إن حرم مكة مثابة للناس يعودون إليه المرة بعد المرة، فربما يعود مالكها من أجلها أو يبعث في طلبها، فكأنه جعل ما له محفوظا عليه، كما غلظت الدية فيه. وقالوا: من التقطها يلزمه الإقامة وعدم السفر وذلك للتعريف بها أو يدفعها إلى الحاكم إذا كان أميناً ليقوم بالتعريف عنها، ويوجد الآن جهاز خاص في الحرم للأشياء المفقودة فيجب تسليمها إليه، ثم قال العلماء إن لم يسلمها إلى الحكومة لا يجب بعد معرفة علاماتها أن يحفظها، سواء أكانت حقيرة أم خطيرة، وتبقى وديعة عنده لا يضمنها إذا تلفت إلا بالتعدي، ثم ينشر خبرها في مجتمع الناس بكل وسيلة، فإن جاء صاحبها وعرفها دفعت إليه، وإن لم يجيء عرفها الملتقط لمدة سنة، فإن لم يظهر صاحبها بعد سنة حل له أن يتصدق بها أو الانتفاع بها، هذا هو حكم المسألة ولك الخيار في إرسالها إلى حكومة السعودية لتتولى التعريف عنها، أو التصرف فيها على ضوء ما علمت.

(المفتي الشيخ: عطية صقر)

الإنابة في الطواف



السؤال: أصابني مرض بعد الوقوف بعرفة لم أستطع معه أن أطوف طواف الإفاضة، فهل يمكن أن ينوب عنى أحد فيطوف بدلي؟

الجواب: طواف الإفاضة الذي يكون بعد الوقوف بعرفة هو ركن أساسي لا يصح الحج بدونه، ولا يجزئ عنه دم ولا غيره، ووقته ممتد فيمكن للإنسان أن يأتي به حتى لو انتهى شهر ذي الحجة، ولا يلزم بتأخيره دم ولا غيره كما قال بعض الفقهاء. وجعل الله أداءه ميسوراً حتى على ذوى الأعذار غير القادرين على المشي، فيجوز الطواف من ركوب، كما يشاهد الآن فيمن يطاف بهم راكبين على «محفات» وعلى هذا فلا يجوز للمريض أن ينيب عنه غيره ليطوف ما دام يستطيع أن يطاف به محمولاً ودليله أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لما قدمت مكة مرضت، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لها- كما رواه الجماعة إلا الترمذي- «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» وورد في البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف في حجة الوداع على بعير، يستلم الركن بمحجن-عود معقوف الرأس- ولم أجد نصًا صريحاً يجيز للمريض أن ينيب عنه غيره للطواف، مثل ذلك مثل الوقوف بعرفة، لا يوجد عذر يبيح الإنابة فيه. فهو مستطاع على أية حال، كالصلاة تؤدى من قيام أو قعود أو اضطجاع أو إيماء، لا ينوب فيها أحد عن أحد.

ولا يصح أن يقاس الطواف على رمى الجمار، لأن هذا واجب يجبر بدم ولو ترك فالحج صحيح، فالنيابة فيه جائزة، لوجود نص في ذلك وهو حديث جابر: حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم رواه أحمد وابن ماجه.

هذا، وهناك قول لعطاء بن أبى رباح يجيز النيابة في الطواف قياسًا على الإنابة في الحج كله، فالإنابة في بعض أركانه وواجباته جائزة من باب أولى.

لكن القياس مردود ما دام هناك نص لا يجيز الإنابة حيث كانت أم سلمة محتاجة إليها لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبحها لها وأمرها أن تطوف راكبة. والنيابة في الحج كله هي للعاجز عنه لمرض.

(المفتي الشيخ: عطية صقر)

العشر الأوائل من ذي الحجة

السؤال: ما هي الليالي العشر التي أقسم الله بها في قوله تعالى «والفجر وليال عشر» ولماذا أقسم الله بها؟

الجواب: الليالي العشر التي أقسم الله بها في أول سورة الفجر، قيل إنها العشر الأول من شهر الله المحرم ونسب هذا إلى ابن عباس، وقيل: إنها عشر ذي الحجة، ونسب هذا إلى مجاهد والسدى والكلبي، بل نسب إلى الرسول من رواية أبى الزبير عن جابر، وإن لم تثبت هذه الرواية، وهذا القول رجَّحه الكثيرون، وبخاصة أن الليالي العشر ذكرت مع الفجر، وكثيرون من المفسرين قالوا: إنه فجر يوم النحر. وهي كما قالوا: ليالي أيام عشر.

ويؤكد هذا القول أحاديث وردت في فضلها، فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعنى أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك شيء».

هذا أصح ما ورد في فضل هذه الأيام. ولكن ما هو العمل الصالح، هل هو نوع معين من العمل، أو هو كل قربة يتقرب بها إلى الله؟ جاء في بعض الأحاديث النص على بعض القرب، ففي رواية الطبراني بإسناد جيد «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليَّ العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير» رواه أحمد وصححه الألباني.

فالعمل هو الذكر لكن جاء في حديث غريب-أي رواه راو واحد فقط-للترمذي قوله «يعدل صيام كل يوم بصيام سنة. وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر» سنن الترمزي وضعفة الألباني.

فالعمل هو الصيام والقيام، وجاء في فضل هذه الأيام أيضا بوجه عام كلام رواه البيهقي بإسناد لا بأس به عن أنس ابن مالك قال: كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم.

إن النص على عمل في هذه الأيام لا يلغى عملاً آخر، لهذا أرى أن أي عمل صالح له ثوابه المضاعف، وبخاصة ما نصَّ عليه في بعض الروايات، من الذكر



والصيام والقيام، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيها اجتهاداً شديداً حتى ما كان يقدر عليه.

ولعل الفضل سببه أن هذه الأيام هي التي يكثف فيها الذهاب إلى المسجد الحرام لأداء فريضة الحج والعمرة، ويعيش الناس فيها في ظلال الروحانية والشوق إلى الأماكن المقدسة، سواء منهم من سافر ليحج ومن لم يسافر، والعمل الصالح إذا وقع في ظل هذه الروحانية كان أرجى للقبول ومضاعفة الثواب، وبخاصة أن هذه الأيـام فيها يوم عرفة الذي جاء فيه حديث رواه ابن خزيمة وابن حبان «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة» وفيها العيد والحج الأكبر، وهي أيام يتوفر فيها الأمن في البلاد الإسلامية لتهيئة الجو للمسافرين للحج ولمن خلفوهم وراءهم وذلك بالانشغال بالعبادة والذكر.

ويقول ابن حجر في فتح الباري ج ٢ ص ٢٣٤: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة، لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره، وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج أو يعم المقيم؟ فيه احتمال. انتهى

(المفتي الشيخ: عطية صقر)

من فتاوى اللجنة الدائمة

إذا أخذ المال ونقص أو زاد ما الحكم؟

س: إذا أعطى رجل رجلاً مبلغاً معيناً لكي يحج عن ميت، ثم ذهب الرجل إلى الحج ثم نقص عليه هذا المبلغ أو زاد، ما حكم ذلك؟ كما أرجو الإفادة هل له أجر إذا أحسن هذه المواقف عن الفاني؟

ج: المسلمون على شروطهم، فإذا حصل اشتراط بين الدافع والآخذ على أن الآخذ يرد الزائد وعلى أن الدافع يكمل النقص، فعلى كل أن يفي بالتزامه، وإذا لم يكن بينهما شرط فإنه يأخذ الزائد ويكمل النقص، أمـا الأجـر فله أجـر إن شاء الله إذا أخذ المال بنية صالحة وأدى الواجب عليه.

وبـالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(السؤال الثاني من الفتوى رقم: ١٨٢٣)

وكلت من يحج عن زوجها من عرفات

س: منذ عدة سنوات حجت والدتي، وفي عرفات وكلت أحد الناس بأن يحج عن والدي المتوفى، حيث إنه لم يحج في حياته، فهل هذه الحجة كاملة؟ حيث إنها بـدأت من عرفات، كما هل يجوز عمل حجة أخرى لمزيد من التأكد؟

ج: الإحرام يوم عرفة سواء كان في عرفة أو غيرها من الشخص الذي حج عن والدك صحيح، فإذا كان قد أدى الحج عن نفسه وكمل مناسك الحج ولم يحصل منه ما يبطله فهو مجزئ عن والدك، ولا يلزم حجة أخرى لمزيد من التأكد، لكن إن أرادت أن تحج عنه حجة أخرى فهذا إليها، ولها أجر في ذلك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الخامس من الفتوى رقم (٦٢٥٩)

الفصل بين الطواف والسعي بوقت طويل

س: ما حكم من طاف طواف الإفاضة ولم يسع حتى غربت الشمس، بعد آخر أيام التشريق؟ وما حكم السعي إذا سعى بعد غروب الشمس من ذلك اليوم، أو بعد أيام التشريق؟

ج: سعيك آخر أيام التشريق أو بعد أيام التشريق صحيح، ولا حرج عليك في تأخيره؛ لأنه ليس من شروط صحته أن يكون متصلاً بالطواف، لكن من الكمال أن يكون بعد الطواف متصلاً به؛ تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (٢٤٤٥)

المفرد بالحج لا هدي عليه

س: هل يصح الحج بدون فدية بالذبح أو لا يصح؟

ج: إذا كان إحرامك بالحج وحده في أشهر الحج؛ فلا هدي عليك؛ لأنك مفرد بالحج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الفتوى رقم (٦٤٤٣).

التلفظ بالنية عند ذبح الأضحية

س: هل يجوز التلفظ بالنية مثلاً لو أردت أن أذبح أضحية لوالدي المتوفى، فأقول: اللهم إنها أضحية والـدي فـلان، أم أني أعمل الحاجة بدون تلفظ ويكفي؟



ج: النية محلها القلب، فيكتفي بما قصده في قلبه، ولا يتلفظ بالنية، وعليه بالتسمية والتكبير عند الذبح؛ لما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: « ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين ذبحهما بيده وسمى وكبر ». ولا مانع من أن تقول: اللهم إن هذه أضحية عن والدي، وليس هذا من التلفظ بالنية.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٥٩٢٨).

الأضحية للميت

س: هل تجوز الأضحية للميت؟

ج: أجمع المسلمون على مشروعيتها من حيث الأصل، ويجوز أن يضحى عن الميت؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة، وذبح الأضحية عنه من الصدقة الجارية؛ لما يترتب عليها من نفع المضحي والميت وغيرهما.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٤٧٤)

إعطاء الكافر من الأضحية

س: هل يجوز لمن لم يدين بدين الإسلام أن يأكل من لحم عيد الأضحى؟

ج: نعم يجوز لنا أن نطعم الكافر المعاهد والأسير من لحم الأضحية، ويجوز إعطاؤه منها لفقره أو قرابته أو جواره، أو تأليف قلبه؛ لأن النسك إنما هو في ذبحها أو نحرها؛ قربانا لله، وعبادة له، وأما لحمها فالأفضل أن يأكل ثلثه، ويهدي إلى أقاربه وجيرانه وأصدقائه ثلثه، ويتصدق بثلثه على الفقراء، وإن زاد أو نقص في هذه الأقسام أو اكتفى ببعضها فلا حرج، والأمر في ذلك واسع، ولا يعطى من لحم الأضحية حربياً؛ لأن الواجب كبته وإضعافه، لا مواساته وتقويته بالصدقة، وكذلك الحكم في صدقات التطوع؛ لعموم قوله تعالى: « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن تصل أمها بالمال وهي مشركة في وقت الهدنة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الثالث من الفتوى رقم (١٩٩٧)

من أراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا أظفاره

س: الحديث من أراد أن يضحي أو يضحى عنه فمن أول شهر ذي الحجة فلا يأخذ من شعره ولا بشرته ولا أظفاره شيئاً حتى يضحي، فهل هذا النهي يعم أهل البيت كلهم، كبيرهم وصغيرهم أو الكبير دون الصغير؟

ج: لا نعلم أن لفظ الحديث كما ذكره السائل، واللفظ الذي نعلم أنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم هو ما رواه الجماعة إلا البخاري، عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره»، ولفظ أبي داود وهو لمسلم والنسائي أيضاً: «من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذ من شعره وأظفاره حتى يضحي»، فهذا الحديث دال على المنع من أخذ الشعر والأظفار بعد دخول عشر ذي الحجة لمن أراد أن يضحي، فالرواية الأولى فيها الأمر والترك، وأصله أنه يقتضي الوجوب، ولا نعلم له صارفاً عن هذا الأصل، والرواية الثانية فيها النهي عن الأخذ، وأصله أنه يقتضي التحريم، أي: تحريم الأخذ، ولا نعلم صارفا يصرفه عن ذلك، فتبين بهذا: أن هذا الحديث خاص بمن أراد أن يضحي فقط، أما المضحى عنه فسواء كان كبيراً أو صغيراً فلا مانع من أن يأخذ من شعره أو بشرته أو أظفاره بناء على الأصل وهو الجواز، ولا نعلم دليلاً يدل على خلاف الأصل.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الثالث من الفتوى رقم (١٤٠٧)

الحمد لله رب العالمين.



فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد:

بين مناسبتين:

المناسبة الأولى: دخولنا في أشهر الحج:

- قال تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (البقرة: ١٩٧).

المراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا. (تفسير السعدي: ٩١/١).

المناسبة الثانية: الصيف وجوه الحار الذي يزداد فيه العرق والأرق، فنحتاج إلى الماء لنطفئ العطش في الدنيا، والحر الأكبر والعطش الأعظم يوم القيامة.

نحاول الربط بين المناسبتين من خلال هذه الوصايا النبوية التي جاءت في أكبر تجمع للصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث بلغ مائة وثلاثين ألفا تقريبًا.

الهدف من هذه الوصايا: السعادة:

١- في الدنيا: قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (آل عمران: ٣١).

٢- في الآخرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (صحيح البخاري: ٧٢٨٠).

من خطب يوم الحج الأكبر: عن عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُخَضْرَمَةٍ فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ: صَدَقْتُمْ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرُكُمْ هَذَا؟ "قُلْنَا: ذُو الْحِجَّةِ، قَالَ: "صَدَقْتُمْ شَهْرُ اللهِ الْأَصَمُّ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ بَلَدُكُمْ هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، قَالَ: "صَدَقْتُمْ"، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ نَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ" (مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٣٤٩٧) المحقق: الأرناءوط إسناده صحيح، صحيح ابن ماجه (٣٠٥٧).

- هذا الحديث جمع وصايا كثيرة وتحذيرات كبيرة، ومن هذه التحذيرات (فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي)، وجاءت هذه الوصية في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن مشهد عجيب من مشاهد يوم القيامة.

يوم القيامة يوم العطش الأكبر:

لا شك أن يوم القيامة شديد الأهوال التي لا يتخيلها ولا يتحملها إنسان، من هذه الأهوال العطش الشديد والذي من أسبابه ما يلي:

١ - اقتراب الشمس من الرؤوس:

عن سُلَيْم بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»- قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. (صحيح مسلم: ٢٨٦٤).

قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: إِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ الْعَرَقُ كَالْبَحْرِ يُلْجِمُ الْبَعْضَ، فَكَيْفَ يَصِلُ إِلَى كَعْبِ الآخَرِ، يُقَالُ يُمْسِكُ اللهُ تَعَالَى عَرَقَ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ؛ فَلاَ يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، كَمَا أَمْسَكَ جَرْيَةَ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. (مرقاة المفاتيح: ٣٥١٧/٥).

٢- حمل الذنوب على الظهر:

- قال تعالى: « لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ » (النحل: ٢٥). وقال تعالى:« وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ» (الأنعام: ٣١).

٣- وجاءت جهنم غاضبة:

قال تعالى:« وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى» (الفجر: ٢٣- ٢٤).

-عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» مسلم (٢٨٤٢).

"يُؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك (٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠) يجرون جهنم، ويزداد الحر حرًا، ولا ينجو إلا من عصم الله". (دروس الشيخ المنجد: ٧/٢).

٤- الزحام الشديد:

كل الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة واقفون مجتمعون في مكان واحد. قال تعالى: « يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (المطففين: ٦). وهذا يؤدي إلى شدة العطش.

هذه الأهوال المفزعة وغيرها تؤدي إلى عرق شديد وعطش أكيد، وهم وغم يكثر ويزيد، وفي وسط هذه الأهوال نجد حوضًا واسعًا جدًا به ماء يقف أمامه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- ففي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ".

- (أنا فرطكم على الحوض-أي: سأسبقكم- يوم القيامة لأقف على الحوض. قَوْلُهُ: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ) الفرط الَّذِي يَتَقَدَّمُ الواردين ليصلح لَهُمُ الْحِيَاضَ والدلاء وَنَحْوَهَا، وَفِيهِ بِشَارَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ فهنيئًا لِمَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فرطه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٣٧/٢٣).

من صفات حوض النبي صلى الله عليه وسلم:

- هيا بنا لنتعرف على حوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لنعلم صفات هذا الحوض والتي منها:

١- مساحة الحوض:

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ...» (صحيح البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

معنى الحديث: يقول النبي-صلى الله عليه وسلم- " حوضي مسيرة شهر " يعني مقدار ما يسير المسافر شهراً كاملاً، وفي رواية: " وزواياه سواء " أي أنه مربع مستوي الزوايا والجوانب كما في حديث أبي ذر: "عرضه مثل طوله" أخرجه مسلم. (منار القاري ٣٠٥/٥).

٢- رائحة ماء الحوض:

- عن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص، قَالَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: «حَوْضي مَسِيرَةُ شَهْر.. وَريحهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ» (رواه مسلم: (٢٢٩٢).

" وريحه أطيب من المسك " أي أحلى رائحة وأجمل طيباً من رائحة المسك. (منار القاري: ٣٠٥/٥).

٣- لون ماء الحوض:

عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِه فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ...» (صحيح مسلم: ٢٣٠١).

٤- برودة ماء الحوض:

عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهُ عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " حَوْضي أَبْرَدُ منَ الثَّلْج، مَنْ شَربَ منْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.. (صَحَّحَهُ الْعَلاَّمَة أَحْمَد شَاكر في الْمُسْنَد بِرَقْم: (٦١٦٢) الْعَلاَّمَةُ الأَلْبَانِي في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١٦).

هذا الماء البارد مناسب جدًا لشدة الحر والعطش.

٥- طعم ماء الحوض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ حَوْضي.. وَأَحْلَى منَ الْعَسَل بِاللَّبَن. (صحيح مسلم: ٢٤٧).

-بالله عليك هل شربت عسل نحل أصلياً نقيا مخلوطا باللبن، فما طعم ذلك؟ ولكن هذا المثال للتقريب، وماء الحوض أطعم وألذ بكثير جدًا.

٦- ما عدد آنية الحوض؟:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا آنيَةُ الْحَوْض قَالَ: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده لآنيَتُهُ أَكْثَرُ منْ نُجُوم السَّمَاء وَكَوَاكبهَا، أَلاَ في اللَّيْلَة الْمُظْلمَة الْمُصْحيَة آنيَةُ الْجَنَّة مَنْ شَربَ منْهَا لَمْ يَظْمَأْ» (صحيح مسلم: ٢٣٠٠).

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تُرَى فيه أَبَاريقُ الذَّهَب وَالْفضَّة كَعَدَد نُجُوم السَّمَاء» (صحيح البخاري (٦٥٨٥)، وصحيح مسلم (٢٣٠٣)).

- يتضح من هذين الحديثين أن الصادق صلى الله عليه وسلم يُقسم أن عداد آنية الشرب من الحوض أكثر من عدد نجوم السماء أي تبلغ آلاف آلاف الملايين والأباريق واحد من ذهب والآخر من فضة كرمًا للضيافة.

٧- أين يأتي ماء الحوض؟

من حديث ثوبان أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: قال.. يَغُتُّ فيه ميزَابَان يَمُدَّانه منَ الْجَنَّة، أَحَدُهُمَا منْ ذَهَب، وَالآخَرُ منْ وَرق» (صحيح مسلم: ٢٣٠١)).

قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَمَعْنَاهُ يَدْفُقَان فيه الْمَاءَ دَفْقًا مُتَتَابِعًا شَديدًا، وَقيلَ يَصُبَّان فيه دَائمًا صَبًّا شَديدًا، أَيْ: لاَ يَنْقَطعُ جَرَيَانُهُمَا. (شرح النووي لمسلم: ٦٣/١٥).

المعنى: يأتي ماء الحوض من أنهار الجنة من خلال أنبوبين كبيرتين أحدهما من ذهب والأخرى من فضة، المياه سريعة قوية شديدة لا تتوقف ولا تنقطع أبدًا عن الجريان، والله أعلم.

٨- أين مكان الحوض؟

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا قَائمٌ إذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ منْ بَيْني وَبَيْنهمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إلَى النَّار وَالله، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارهمُ الْقَهْقَرَى. (صحيح البخاري: ٦٥٨٥).

هذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط. (التذكرة للقرطبي: ٧٠٣/١).

فلا تسودوا وجهي:

قَوْلُهُ: (فَلاَ تُسَوِّدُوا) بأَنْ تُكْثرُوا الْمَعَاصيَ فَلاَ تَصْلُحُوا لأَنْ يُفْتَخَرَ بمثْلكُمْ. (حاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٢٤٨/٢).

- فلا تسودوا وجهي" يشير إلى أنه صلى

الله عليه وسلم يستحي من سيئات أمته إذا عرضت عليه" (لطائف المعارف: ١/ ٩٠).

٩- من المحروم المطرود من أمام الحوض؟

قَالَ الحافظ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: "كل مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَطَمْسِ الْحَقِّ، وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ، قَالَ: وَكُلُّ هَؤُلاَءِ يُخَافُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ عَنُوا بِهَذَا الْخَبَرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ". (شرح النووي لمسلم: ٣/ ١٣٧).

- عَنْ سَهْلٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٦٥٨٤) ومسلم (٢٢٩٠)).

(فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا): كُرِّرَ لِلتَّأْكِيدِ، أَيْ: بُعْدًا وَهَلاَكًا وَالْجُمْلَةُ دُعَاءٌ بِالْعَذَابِ. (مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥٣٨)).

١٠- من السعيد الذي يشرب من الحوض؟

إذا أردت أن تكون من السعداء الذين يشربون من الحوض بإذن الله تعالى فعليك القيام بعبادات منها ما يأتي:

أولاً: الإخلاص لله تعالى في كل طاعة:

- قال تعالى: « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

- عن عبد الله بن مسعود: يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم. (التذكرة: ١/ ٢٥٤).

ثانيًا: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

يرد الناس الحوض كالغمام، فتردهم الملائكة سبعون ألف ملك، مع كل ملك مرزبة من حديد يذودونهم عن الحوض إلا أهل السنة، من أراد أن يشرب فليتبع سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه سيشرب لا محالة إذا صدق في المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام. (دروس للشيخ عائض القرني: ٨٩/ ٢٧).

ثالثًا: المحافظة على الوضوء وإقامة الصلاة:

أ- قال تعالى: « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور: ٥٦).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ» (صحيح مسلم: ٢٤٧).

- قال الإمام النووي: "اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الأَحَادِيثَ مُصَرِّحَةٌ بِاسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ، أَمَّا تَطْوِيلُ الْغُرَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُنَا: هو غَسْلُ شيءٍ مِنْ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ، وَمَا يُجَاوِزُ الْوَجْهَ زَائِدٌ على الجزء الذي يجب غسله لاستيقان كمال الْوَجْهِ، وَأَمَّا تَطْوِيلُ التَّحْجِيلِ فَهُوَ غَسْلُ مَا فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ، وَهَذَا مُسْتَحَبٌّ بِلاَ خِلاَفٍ بَيْنَ أَصْحَابِنَا، وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَلَى أَوْجُهٍ أَحَدُهَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ، وَالثَّانِي يُسْتَحَبُّ إِلَى نِصْفِ الْعَضُدِ وَالسَّاقِ، وَالثَّالِثُ يُسْتَحَبُّ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَحَادِيثُ الْبَابِ تَقْتَضِي هَذَا كُلَّهُ. (شرح مسلم: ٣/ ١٣٤)

اللهم اسقنا من حوض نبيك صلى الله عليه وسلم شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا آمين..

والحمد لله رب العالمين.

أسماء الفائزين في مسابقة القرآن الكريم
بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية

أولاً: المستوى الأول:

١- محمد عبده عبد العاطي: الإسكندرية: ٢٠٠٠ جنيه.

٢- عبد الله عمار محمد السيد: البلاشون: ١٨٠٠ جنيه.

٣- أحمد سمير عابدين: كفر الشيخ: ١٧٠٠ جنيه.

٤- أسماء عبد الفتاح سلامة: البلاشون: ١٦٠٠ جنيه.

٥- تسنيم عرفة عيد: أسوان: ١٥٠٠ جنيه.

٦- سلمى حمادة مصطفى: ٦ أكتوبر: ١٠٠٠ جنيه.

٧- أنس شريف خلف الله: ٦ أكتوبر: ١٠٠٠ جنيه.

ثانيًا: المستوى الثاني:

١- أحمد صباح سعيد معوض: منشية البكاري: ١٥٠٠ جنيه.

٢- سحر حمدي سعد فرج: الإسكندرية: ١٤٠٠ جنيه.

٣- أحمد محمد عبد المجيد: البحيرة: ١٣٠٠ جنيه.

٤- محمود خالد عمر هشلة: كفر بنهس: ١٢٠٠ جنيه.

٥- محمد خالد السيد عبد الكريم: البلاشون: ١٠٠٠ جنيه.

٦- محمود محمد عبد البصير: الإسكندرية: ٧٠٠ جنيه.

ثالثًا: المستوى الثالث:

١- أحمد محمد الشاعر: البحيرة: ١٠٠٠ جنيه.

٢- ريم إبراهيم عبد المنعم: البلاشون: ٩٠٠ جنيه.

٣- إشراق أحمد عبد الفتاح: البحيرة: ٨٠٠ جنيه.

٤- سارة مصطفى حسن: البلاشون: ٧٠٠ جنيه.

٥- إسلام سامح عبد المجيد: الإسكندرية: ٦٠٠ جنيه.

٦- محمد إبراهيم حافظ: منشية البكاري: ٥٠٠ جنيه.

٧- ياسمين أحمد أنور: إمبابة: ٥٠٠ جنيه.

رابعًا: المستوى الرابع:

١- فاطمة أحمد بيومي: بردين: ٥٠٠ جنيه.

٢- شاهيناز أمين صفاء: البلاشون (شرقية) ٤٥٠ جنيه.

٣- منة عدلي صلاح: البلاشون (شرقية) ٤٠٠ جنيه.

٤- منار ياسر محمد: البلاشون (شرقية) ٣٥٠ جنيه.

٥- رحمة محمد طاهر: بردين: ٣٠٠ جنيه.

٦- عز الدين عرفة عيد أحمد: أسوان: ٢٥٠ جنيه.

٧- روضة عمر إبراهيم: بردين: ٢٥٠ جنيه.

٨- أميرة عمرو عبد رب النبي: منشية البكاري ٢٥٠ جنيه.

٩- حفصة أحمد عز الدين: ٦ أكتوبر: ٢٥٠ جنيه.

وستوزع الجوائز يوم الأحد ٨ محرم ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٦/١٠/٩م بمقر المركز العام بعد صلاة الظهر.

هذا وقد حُجبت بعض الجوائز في كل مستوى من المستويات لعدم بلوغها المستوى المطلوب في المسابقة.

مدير شئون القرآن

مصطفى البصراتي


بشرى سارة
معرض مجلدات مجلة التوحيد
مفاجأة كبرى
موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٥٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)
مفاجأة:
اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
الكمية محدودة والعرض سار حتى نفاد الكمية.
مفاجأة:
يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.
٤٤ مجلداً
٤٤ عاماً
المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة
للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517
صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ